



أكياف

١٠٨

- ❖ حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر النبوة ورأس البديعيين
- ❖ قصيدة امتزج ذواقها بأكباد الأجيال
- ❖ قصيد البردة: منحة الأدب وفرحة الطرب
- ❖ المدائح النبوية في شعر أمير الشعراء أحمد شوقي
- ❖ الحمزية النبوية ... كمال المدح النبوي
- ❖ المديح النبوي في الشعر العربي الحديث
- ❖ المدائح النبوية لشعراء كيرالا

حسان بن ثابت: شاعر النبوة ورأس البديعيين

د/ن. إ. محمد عبد القادر^١

هو شاعر ذاع صيته عبر الآفاق لمواقفه الجادة في الدفاع عن الرسول الأمين والملة الحنيفية، وقصائده في مدح خاتم النبيين وهجاء أعداء دين الله، ما زال ولا يزال يبقى مثالا منشودا ومنارا هاديا لكل من خلفه في هذا الدرب بقرائضهم الثنائية منذ عصر النبوة وحتى يوم القيامة. وهو من جهابذ القول المنظوم في العصر الجاهلي. ووفق له بفضل طول عمره ما جاوز مائة وعشرين سنة، ومواهبه المتدفقة التي لم تكد تنضب أو تلين يوما ما، أن يصبح رائد شعراء النبوة وأبرز أعلام الشعر الإسلامي في جميع العصور.

شاعر مخضرم

الشعراء المخضرمون هم الذين نظموا الشعر في الجاهلية ثم أدركوا الإسلام فأسلموا وظلوا ينظمون الشعر واشتهروا بالشعر في الجاهلية وفي الإسلام معا. فمن المعروف أن الأعشى شاعر جاهلي أدرك الإسلام ونظم قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. ولكنه ظل على شركه فلم تنقطع نسبته إلى الجاهلية. وليبيد بن ربيعه العامري شاعر مخضرم عاش في الجاهلية وفي الإسلام. ولكن الرواة ونقاد الشعر يعدونه في الشعراء الجاهليين، لأن حصة الأسد من قصائده كانت منظومة في زمن الجاهلية. وإنما كعب بن زهير وعبد الله بن رواحة والخنساء وأبو ذؤيب الهذلي والحطيئة وحسان بن ثابت الأنصاري شعراء مخضرمون عاشوا في الجاهلية ثم أسلموا وقالوا الشعر في العصرين كليهما.

نرى في شعر هؤلاء الشعراء المخضرمين إلى حد كبير التمدح بالإسلام والثناء للشهداء مع ما في قصائدهم من ضرب الأمثال وإيراد الحكم والقصد إلى المواعظ للحث على مكارم الأخلاق والتمسك بالأداب التي كانت مثلا عليا حتى في العصر الجاهلي. وذلك بتأثير من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما نرى في هذه الفترة تطور فن الهجاء القبلي إلى

^١ الأستاذ، قسم العربية، جامعة كاليكوت.

وجهة جديدة، حيث شغل الإسلام العرب جميعا بالدعوة العظمى، فانقسموا إلى من يؤيدونها ومن يعارضونها، واقتحم الشعراء القرشيين في هذه الخصومة، واصطف زمرة منهم في حملة قاسية على رسول رب العالمين ورسالته السماوية، ومنهم عبد الله بن الزبيري وعمرو بن العاص وأبو سفيان، وأخذوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه وصاحبه بالهجاء القارص. مع أن هذا الإيذاء بالحروف هاج شاعرية المسلمين، فلم يفسح لهم المجال في أول الأمر لأن يردوا عليه حيث إن الدين الإسلامي السامي قد نهى عن التفاخر والتنافر ومنع عن الغزل والهجاء. ولكنهم ودوا لو يأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمنافستهم، حتى أن قال لهم: "ما ذا يمنع الذين نصرروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟" فاستجاب له نفر من الصحابة ونهضوا للغارة المضادة وشنوا على الأعداء حربا كلامية عنيفة، ومنهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. أما المهاجمون فما كانوا يهاجمون بفضائل الوثنية، ولا المدافعون يدافعون بفضائل الإسلام، بل كانوا يتهاجون على النمط المعروف بينهم من الفخر بالأنساب والتبجح بالسؤدد. يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: "أذهب إلى أبي بكر وهو أعلم بمثالب القوم" وقوله: "كيف تهجو قريشا وأنا منها؟" فقال حسان: "أسلك كما أسل الشعرة من العجين"

نشأته وحياته

حسان بن ثابت بن منذر بن حرام الأنصاري الخزرجي ولد بالمدينة حوالي سنة ٥٦٣م (٥٩ ق هـ). وأمه الفريعة بنت قيس من بني خزرج. وكنيته الأشهر أبو الوليد. كان أشعر أهل المدينة في الجاهلية. التحق ببلاط جيلة بن الأيهم يمدح ملوك الغساسنة. وقيل إنه لقي هناك الشاعرين الفحلين النابغة وعلقمة. وأجري عليه معاش لشعره في مدح عمرو بن الحارث في وجود هذين الشاعرين. وكان يمدح ملوك غسان بالشام. ومن جيد شعره قوله فيهم:

والخالطون فقيرهم بغنيهم	والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم	شم الأنوف من الطراز الأول

بالغ حسان في مدح آل جفنة من ملوك غسان وأكثر من التماسهم :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلف في الزمان الأول

يمشون في الحلل المضاعف نسجها مِشي الجمال إلى الجمال البزل

فأسبغوا عليه بالعطايا والنعم، ولم ينكروه بعد إسلامه وتنصرهم ، فجاءه رسلهم تترى بالهدايا من القسطنطينية.

أسلم حسان بعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ونزل في دار من دور بني النجار وأخى هناك بين عثمان بن عفان وأخي حسان أوس بن ثابت الذي أسلم في العقبة الثانية. ومنذ ذلك التاريخ أصبح حسان شاعر الرسول والإسلام. مدح الرسول وصحابته، واتصل حبل الهجاء بينه وبين شعراء قريش بعد أن انتدبه الرسول مع صاحبيه عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك للرد عليهم.

وكان حسان بن ثابت قد ولي الرد على هجاء الكفار من الشعراء، وارتضى به النبي صلى الله عليه وسلم وقدره أحسن تقدير. فقد كافأه الضيعة ووهبه الجارية المصرية سيرين أخت مارية القبطية أم إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم، فولدت له عبد الرحمن. وكان عبد الرحمن شاعرا، كما كانت له بنت شاعرة.

طول الله عمر حسان بعد النبي ﷺ حتى يشاهد خلافة أبي بكر وعمر، ورثاهم جميعا بقصائد مؤثرة. وكان له ولاء خاص لعثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وهو قد عاش في بيت أخيه بالمدينة بعد الهجرة.

توفي في خلافة معاوية، وعمي في آخر عمره. والقول الأرجح أن وفاته كانت في سنة ٤٠ هـ ، وعمر مائة وعشرين سنة؛ ستين في الجاهلية وستين في الإسلام.

شاعريته

قال أبو عبيدة: "فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام". وقال الأصمعي "الشعر نكد، بابيه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء

الإسلام سقط شعره." وأجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر، كما روي عن أبي عبيدة: "اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت."

وكان يغلب في شعره الفخر والحماسة والمدح والهجاء، وكلها أغراض تقتضي اللفظ الفخم والأسلوب القوي. وقد أشار إليه أحمد حسن زيات قائلاً: "فيدا عليه أثر من الحوشية والوحشية ذهب بمجيء الإسلام. ثم سكنت عوامل الشعر في نفسه بسماحة الدين وموت الأحقاد وتقدم السن. فما كانت تتحرك إلا زيادا عن النبي و دفاعا عن الأنصار من حين إلى حين. ولكن كثيرا من شعره في هذا الطور كان خشيبا، فكثرت به السقط، وقلت فيه الجزالة، وغلبت عليه السهولة. فرأى الأصمعي أن شعره لم يقو إلا في الشر، فلما جاء الإسلام بالخير ضعف". وقد قيل له: "لان شعرك أو هرم في الإسلام يا أبا الحسام؟" فأجاب: "يا ابن أخي، إن الإسلام يحجز عن الكذب أو يمنع الكذب، وإن الشعر يزينه." يفضل الرواة شعر حسان على غيره من شعراء البادية، على أن القيمة الكبرى لهذا الشعر هي أنه مصدر من مصادر التاريخ الإسلامي.

شاعر النبوة

أسلم حسان بن ثابت – كما ذكرنا آنفا- مع الأنصار بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة. ومنذ ذلك اليوم انقطع إلى مدحه والنصح به. وكان نفر من مشركي قريش يهجون الرسول صلى الله عليه و سلم، ومنهم عبد الله بن الزعبري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب. فقال قائل لعلي بن أبي طالب: "اهج عنا القوم الذين يهجوننا." فقال: "إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلت." فقالوا: "يا رسول الله، ائذن له" فقال رسول الله ﷺ: "إن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه." ثم قال: "ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟" فقال حسان: "أنا لها" وضرب بلسانه الطويل أرنبه أنفه وقال: "والله ما يسرني مقول ما بين بصرى وصنعاء! والله لو وضعت على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه!" فقال له النبي ﷺ: "كيف تهجوهم وأنا منهم؟" فقال: "أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين" فقال: "اهجمهم ومعك روح القدس" فهجاهم وآلمهم وأبكمهم ووقعت كلماته منهم موقع السهام في

غسق الظلام. وقال له الرسول: "اهجهم فو الله لهجانك عليهم أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام، ومعك جبريل روح القدس، والى أبا بكر يعلمك تلك الهنات." وكان الرسول ﷺ يقول له: "كف عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة." فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: "إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة." ومن أروع ما نظم حسان في مدح رسول الله ﷺ :

وأحسن منك لم ير قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبراً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

إن وفدا من بني تميم قدم إلى النبي ﷺ وفيهم خطيبهم وشاعرهم، ونادوه من وراء الحجرات (فأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمُ الْآيَةَ الرَّابِعَةَ مِنْ سُورَةِ الْحَجْرَاتِ: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ إلخ)، فخرج رسول الله ﷺ إليهم، وخطب خطيبهم مفتخراً. فلما سكت أمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم، فخطب ثابت فأحسن. ثم قام شاعرهم الزبيرقان بن بدر، فقال:

نحن الملوك فلاحي يقاربنا فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا من العبيط إذا لم يؤنس الفرع

ثم جلس، فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: قم، فقام وأنتشد قصيدة، وهي من أجود ما ارتجله بين يدي النبي ﷺ. ومنها:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يرديهم الطمع

لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفاوتت الأهواء والشيع

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس: "وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له،
لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا" ثم
أسلم القوم وأقاموا عند النبي ﷺ يتعلمون القرآن ويتفقهون في الدين.

وفي أعقاب غزوة الأحزاب التي اجتمع فيها قريش وبنو عطفان وبنو قريظة ورددهم الله
بغیظهم، قال النبي ﷺ: "من يحمي أعراض المسلمين؟" فقال كل من كعب بن مالك وعبد
الله بن رواحة وحسان بن ثابت: "أنا يا رسول الله" واحد تلو آخر، فقال النبي ﷺ: "نعم،
اهجهم أنت، فإنه سيعينك عليهم روح القدس"

ومن بدائع الأهاجي لحسان بن ثابت ما قال قبل فتح مكة:

ألا أبلغ أبا سفيان عني	فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيفنا تركتك عبدا	وعبد الدار سادتها الإمام
هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفاء	فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا	أمين الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء

وقد قال يمدح النبي صلعم:

أغر عليه للنبوّة خاتم	من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فدو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة	من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند

وحيثما طلب من عائشة رضي الله عنها أن تصف رسول الله صلعم يوما من الأيام قالت:
"كان والله كما قال فيه حسان:

متى يبدا في الداجي البهيم جبينه يلح مثل مصباح الدجي المتوقد

فمن كان أو من يكون كأحمد نظام لحق أو نكال لملحد

ولما توفي رسول الله ﷺ فاضت قريضة حسان بن ثابت أسى وحسرة، فكانت منها عدة قصائد رائعة، وهي مثل عليا في الرثاء. ومنها:

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

جنبي يقيك التراب لهفي لبيتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد

بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الإثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متبلدا يا لهف نفسي لبيتني لم أولد

أأقيم بعدك في المدينة بينهم يا ليتني صبحت سم الأسود

أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو في غد

وقال في قصيدة أخرى يرثي النبي ﷺ ويصف فيها المدينة المنورة والروضة الشريفة وأثارها المقدسة بأبيات توحى وتلهم. مطلعها:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ويقول فيها:

عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبرا به واره في التراب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعد

أطالت وقوفا تذرّف العين جهدها على ظلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد

ولما نزلت الآية من سورة الشعراء (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، قالوا: "قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء" قتلا النبي ﷺ : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال: أنتم، (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) قال: أنتم، (وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) قال: أنتم.

وكانت أغراض حسان بن ثابت في الجاهلية المدح والهجاء القبلي والشخصي، وكان منها الرثاء والحماسة والفخر، فقد ظلت هي عينها في الإسلام بيد أنه وقف مدحه على الرسول وقصر هجاءه على المشركين، وعليه أخذ يعرف بشاعر النبوة. وقد اكتسب شعره في الإسلام رونقا وعذوبة بفضل ولائه وإخلاصه، وكثرت فيه التعبيرات الإسلامية والاقتراس من آي القرآن، فحق له أن يسمى رأس البديعيين. ولن يخنفي بهاؤه ولا قيمته أبدا في الشعر العربي حيث إنه هو الذي بدأ فن الشعر في المديح النبوي.

المراجع

- ١ . ديوان حسان بن ثابت الأنصاري
- ٢ . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
- ٣ . حسان بن ثابت الأنصاري للدكتور رحاب عكاوي
- ٤ . تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن زيات
- ٥ . كتاب العربية والأدب لمحمد نعمان الدين الندوي



قصيدة امتزج ذواقها بأكباد الأجيال

بشير الفيضي الجيكوني^١

باننت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

قصيدة "باننت سعاد" قصيدة مدح، امتزج ذواقها بأكباد الأجيال، وذلت بها الألسنة الأدبية طوال الأزمان، وشغلت ألباب الفصحاء والبلغاء جيلا بعد جيل، وجذبت أنظار الأدباء والعلماء وجعلتهم هائمين في زوايا معانيها البليغة وخبايا دقائقها الجليلة!

وقد اعتكف أهل الأدب العربي في فناء هذه القصيدة الغراء في مر العصور وكرها، وبعضهم غاصوا في لجها الأنيقة واستخرجوا لؤلؤا من المعاني الطريفة، صارت بعد ثورة لأدب المدائح وظريفة لأدب الهوى العذري!

باننت سعاد!

انطلقت هذه القطعة الأدبية الخالدة من قلب خائف أصبح مترددا بين اليأس والرجاء، وذلك أن كعب بن زهير رضي الله عنه الذي 'باننت سعاد' كان قد أهدر دمه من قبل الرسول ﷺ، ولم يجد ركنا يأوي إليه من سطوة المسلمين، وكان أخوه بجير قد اعتنق الإسلام والتجأ إلى كنفه، وأشار إلى كعب أخيه أن:

"وفاق كعب يجير منقذ لك من تعجيل تهلكة والخلد في سقر"

ففي هذه الظروف الهائلة يغدو الشاعر إلى المدينة ويصل إلى مقر الرسول، وقلبه يرتعد ويقشعر من شدة الخوف كما يشير إليه قوله:

لقد أقوم مقاما لو يقوم به
أرى واسمع ما لا يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له
من الرسول بإذن الله توبيل!

١. الأستاذ، كلية الرحمانية، كدميري، كالكوت.

يدخل الشاعر إلى مجلس الرسول ﷺ ، و به صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ ورجال من المهاجرين والأنصار الذين هم طوع إشارته ﷺ ، ويصوّر هذا الدخول أصدق تصوير ممكن في ذلك الوقت!

وبعد ما اطمأن قلبه في الحضرة النبوية ووضع يده في يده الشريفة:

حتى وضعت يميني لا أنازعه في كف ذي نقهات قبيله القيل!

تنطلق شاعريته العجيبة الراسخة في ذلك القلب العربي الخالص الموروث عن أبيه الشاعر زهير بن أبي سلمى أحد فحول الشعراء الجاهليين، ويهيج بأموج المدح والحب الصادق. ينطلق الشعر أولاً بكل هدوء وفق العادة الشعرية المعروفة إذ ذاك! ويقول:

بانّت سعاد قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول!

ثم يستطرد إلى وصف الأبطح ووصف الناقة وإلى ذكر الوشاة ويظهر عدم مبالاته بالموت:

كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول!

ثم إلى مقصوده الجليل الذي هو مدح من هو في حضرته!، مدح الرسول ﷺ الذي كان في الأمس عرضة للسانه الهجاء، ثم صار رجاء قلبه اليانس وأمله الوحيد، حتى قد صار في حين انطلاق شعره سيده ودليله وسبب نجاته الأبدية، فينقلب قلبه الهاجي إلى قلب تنبعث منه آيات المدح والتناء وأثار الحب والعشق والهوى.

نعم! تنطلق من لسانه جواهر المدح والتناء يحلى بها الرسول الكريم وينصت الرسول ﷺ إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول!

ولما سمع هذا البيت ألقى عليه بردته التي كانت عليه، جائزة له خالدة خلود الدهر!

وقد وصف الرسول ﷺ وأصحابه بعد هذا البيت الخالد أصدق وصف يروى في الأشعار، يقول:

في فتية من قریش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا

زالوا فما زال انكاس ولا كشف
شم العرانيين أبطال لبوسهم
لا يفرحون إذا نالت رماحهم
عند اللقاء ولا ميل معازيل
من نسج داود في الهيجا سراويل
قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

فقصيدة "بانة سعاد" قصيدة انطلقت من قلب شاعر هيجت المودة الخاصة شاعريته ففاحت في حضرة الرسول ﷺ وما زالت تعطر عالم المديح وعالم الحب الخالص وتصب السكينة والهدوء في قلوب من يحب حبيب الله.

معلم

صلى عليك الله يا علم الهدى ... واستبشرت بقدومك الأيام
هملت لك الأرواح من أشواقها ... وارتنت بحديثك الأعلام

قصيدة البردة: منحة الأدب وفرحة الطرب

محمد ضياء الدين الفيضي ميلموري

قد تكاثرت وترادفت القصائد والأشعار في وصف النبي ﷺ ومدحه وحبه، ولا يوجد في فن من فنون الشعر العربي من القصائد مثل ما يوجد في مدح النبي ﷺ؛ لأن هذا التيار الشعري بدأ منذ عصر النبوة، ولا زال ولا يزال إلى اليوم، فقد كان الشعراء الثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهم يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم وينافحون عنه الكفار، إضافة إلى شعراء آخرين مثل علي بن أبي طالب وكعب بن زهير وغيرهما.

إلا أنه قد اشتهرت عند الأدباء ثلاث قصائد في مدحه ﷺ درسوها ودارسوها واعتنوا بها بالشرح والتحليل، والعرض والنقد. إحداها ألقت في القرون الأولى، والثانية في القرون الوسطى، والثالثة في القرون الأخيرة، أما التي في القرون الأولى فهي قصيدة كعب بن زهير المشهورة، المسماة بـ 'بانة سعاد'، وبـ 'البردة'، وبـ 'الكعبية'، وأما التي في القرون الوسطى فهي قصيدة 'البردة' لمحمد بن سعيد البوصيري، وأما التي في القرون الأخيرة فهي 'نهج البردة' لأحمد شوقي المصري.

ومما لا يشك فيه مسلم أن قصيدة كعب بن زهير أسبق الثلاثة قدراً وشرفاً، وكيف لا، وقائلها صحابي جليل، وقد أصغى إليها الحبيب ﷺ بأذنيه الشريفتين، وتعجب ببلاغتها ومثانتها، واعترف بفضلها، وأهدى لقائلها برده المباركة، كما أن من المتفق بين الأدباء والشعراء أن قصيدة كعب بن زهير أرفع الثلاثة بلاغة وفصاحة، ودقة المعاني ومثانة المباني، وجزلة الأسلوب، وتأثر القلوب، ولا عجب في ذلك؛ فإن كعب بن زهير كان شاعراً مطبوعاً ولد في أسرة عريقة في الشعر وترعرع في الشعر وشب عليه وعاش فيه، فإن أباه هو زهير بن أبي سلمى صاحب المعلقة المشهورة بالبلاغة الفائقة، المملوءة بالحكم والمواعظ، وكذلك جده أبو سلمى كان شاعراً مجيداً كما أن أخاه بجيراً كان من الشعراء.

ولكن يلاحظ أن قصيدة كعب بن زهير ليست قصيدة إسلامية بحتة، بل هي كملفقة من جاهلية وإسلامية، فإن النصف الأول من قصيدته هو وصف محبوبته (الحقيقية أو الخيالية) سعاد، وما كانت عليه من جمال وكمال، وما كان الشاعر يتكبد من المشاق للوصول إليها، ثم يتدرج ويترقى إلى وصف الرسول ﷺ ومدحه أيما تدرج، ينبهر منه القارئ ويتعجب من سلاسته، وانسجامه مع ما قبله.

وأما قصيدة البردة للبوصيري فهو أشهر الثلاثة عند علماء الشريعة المتأخرين وعوامهم، وقد نالت قبولية عامة من جميع الطبقات المسلمين، وقام كثير من العلماء بشرحها، وقد ساهمت الطرق الصوفية في نشرها وتمكين قبوليتها في قلوب الناس، كما قام بعض علماء نجد كالشوكاني وعبد الله أبا بطين وغيرهما، بنقدها من حيث ما اشتمل عليه بعض أبياتها من المعاني، زعماً منهم أن فيها غلوً في وصف الرسول، واستغائاً به ﷺ وغير ذلك من الشرك -على لغتهم-، والمسلم المنصف لا يجد فيه غلوً ولا شركاً ولا مخالفة للشريعة الغراء، بل هي قصيدة إسلامية بليغة، ينشط لها الأذهان، ويصغى إليها الأذان، وتصب بها العبرات لمن في قلبه محبته ﷺ والشوق إليه، والمنتقدون عليها إما لم يعرفوا ما أراد الشاعر وإما قصرُوا في فهم حقيقة الرسول ﷺ، كما قال الشاعر نفسه:

أعيب الورى فهم معناه فليس يرى في القرب والبعد فيه غير منفحم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

البوصيري وأشعاره:

ومؤلف البردة هو العلامة الأديب، الشاعر الفحل الذي لا يُشَقُّ له غبار، الفارس المعروف من فرسان البلاغة، محمد بن سعيد بن حماد بن محسن البوصيري^١ ولد البوصيري صاحب البردة سنة ٦٠٨ هـ في قرية أبو صير بمصر، وتوفي سنة ٦٩٥ هـ، وكان قبيلته منحدره من المغرب، واستوطنت مصر، وكان شاعراً مجيداً مطبوعاً في الشعر موقفاً، ولم يكن معروفاً بالعلم في عتوان شبابه، بل كان معدوداً من الشعراء الفحول، وكان متكسباً بالشعر -على ما

١ . نسبة إلى قرية "أبو صير" من غربية مصر، وهو غير البوصيري المحدث؛ لأن البوصيري المحدث هو أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري صاحب التخاريج، له: زوائد سنن ابن ماجه، وإتحاف الخيرة المهرة في زوائد المسانيد العشرة، وتحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب، وعلامات النبوة وغيرها من الكتب.

قيل- لدى الأمراء والسلاطين، يمدح من يساعده، ويهجو من يعانده، له ديوان معروف يحتوي على جميع أنواع الشعر من المدح والهجاء، والإنابة والدعاء، والمواعظ والحكم، إلى غير ذلك، وكان من عادته أنه إذا بدأ يمدح أحداً يبالغ في الثناء، وإذا بدأ يهجو يبالغ في الهجاء، كما هو عادة أكثر الشعراء، وعلى سبيل المثال- إنه مدح شيخه السيد أحمد البدوي خليفة الشيخ الشاذلي بقوله:

وفي علوم الأولين حقوقها والآخريين وفاء من لم يجحد
فكانه فينا خليفة آدم أو آدم لو أنه لم يولد

ويمدح شيخه أبا العباس المرسي خليفة الشيخ الشاذلي:

لا تشركن به امرأ في وصفه فتكون قد خالفت كل موحد

وقد هجا القاضي عماد الدين بن أبي علي امتناعه من التصديق على الشاعر:

قال قوم إن العماد كريم قلت هذا عندي حديث خرافة
أنا ضيف له وقد مت جوعاً ليت شعري لم لا تعد الضيافة
وهو إن يطعم الطعام فما يط عمه إلا بسمعة أو مخافة

حتى هجا زوجته مرة بقوله:

وبليتي عرس بليت بمقتها والبعل ممقوت بغير قيام
جعلت بإفلاسي وشيبي حجة إذ صرت لا خلفي ولا قدامي
بلغت من الكبر العتي ونكست في الخلق وهي صبية الأرحام

وله قصائد في مدح الملوك والأمراء والوزراء وفي مدح مشايخه كالسيد أبي الحسن الشاذلي، والسيد أحمد البدوي، والسيد أبي العباس المرسي كما سبق مثال ذلك، وله قصيدة رائعة طويلة (زهاء مائة بيت) يرد فيها اليهود والنصارى، ويثبت دين ﷺ.

فيرد على النصارى بقوله:

أسمعتم أن الإله بحاجة يتناول المشروب والمأكولا
وينام من تعب ويدعو ربه ويروم من حر الهجير مقيلاً
ويمسه الألم الذي لم يستطع صرفاً له عنه ولا تحويلاً
يا ليت شعري حين مات بزعمهم من كان بالتدبير عنه كفيلاً

جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهدتوا لم يجعلوا العدد الكثير قليلاً

ويقول عن اليهود:

والعابدون العجل قد فتنوا به	ودوا اتخاذ المرسلين عجولاً
فإذا أتت بشرى إليهم كذبوا	بهوى النفوس وقتلوا تقتيلاً
لم ينتهوا عن قذف داود ولا	لوط فكيف بقذفهم روبيلاً
وعزوا إلى يعقوب من أولاده	ذكراً من الفعل القبيح مهولاً
نقلوا فواحش عن كلیم الله لم	يك مثلها عن مثله منقولاً

ويقول في أواخرها:

إن أنكروا فضل النبي وإنما	ألقوا على ضوء النهار سدولاً
الله أكبر، إن دين محمد	وكتابه أقوى وأقوم قبلاً
لا تذكروا الكتب السوالف عنده	طلع النهار فأطفنوا القنديلاً

قصيدة البردة ومكانتها:

وبعد ما انتمى البوصيري إلى الطريقة الشاذلية، وتلمذ على مشايخها كالبدوي والمرسي صار عالماً بالشریعة والطريقة، مختاراً للطريقة الأخروية، معرضاً عن الدنيا ولذاتها، محباً مخلص الحب للمصطفى ﷺ، يشهد له ديوانه، فإن كثيراً من قصائد ديوانه في مدحه ﷺ، منها همزيته، وبائيته، وحائيته وداليته ولاميته، ومن قصائده الرائعة في مدح الرسول ﷺ:

الصبح بدا من طلعتة	والليل دجى من وفرته
فاق الرسل فضلاً وعلا	أهدى السبل لدلالته
كنز الكرم مولي النعم	هادي الأمم لشريعته
أذكي النسب أعلى الحسب	كل العرب في خدمته
سعت الشجر نطق الحجر	شق القمر بإشارته
فمحمدنا هو سيدنا	فالعز لنا لإجابته

وقد اشتهرت منها البردة والهمزية، أما قصيدة البردة فقد اشتهرت لدى الخواص والعوام، وقام العلماء بشرحها وتوضيحها، وإثبات ما فيها من العقائد والتواريخ، وبيان بلاغتها وفصاحتها، وقد بلغ شروحها المائة خصوصاً في مصر والمغرب والشام.

وسبب تأليفه حسب قول البوصيري نفسه- كما ذكر في فوات الوفيات:- (كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني خلط فالج، أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة، فعملتها واستشفعت بها إلى الله تعالى أن يعافيني، وكررت إنشادها، وبكيت ودعوت، وتوسلت ونمت، فرأيت النبي ﷺ ومسح على وجهي بيده المباركة، وألقى علي بردة، فانتبهت، ووجدت في نهضة.....) ولذلك تعتبر هذه القصيدة قصيدة مباركة حيث صارت سبباً لشفاء مرضه، إضافة إلى أنه أصغى إليها الرسول صلوات الله عليه، وأقر بفضلها، وعوض قائله بردة بيده الشريفة.

والبليغ الأديب يتعجب من بلاغتها وانتقاء ألفاظها، وسلاستها وجزالتها، وما تضمنت من أنواع البديع، فكأنها أعجوبة قد ضمن فيها الشاعر جميع أنواع الكلام، من أمر ونهي واستفهام وتعجب ومدح وذم، ومن ندم واستغفار ومعاتبة النفس، ومن مواظم مؤثرة، وحكم مختارة، والتشبيهات الرائعة والاستعارات الأنيفة، وكثير المحسنات اللفظية والمعنوية كالالتفات من الغيبة إلى الخطاب وإلى التكلم وبالعكس إلى غير ذلك.

فيبدأ القصيدة بإظهار التوله والتحير بالحب والعشق الشديد، وهذا يعد من تجاهل العارف المعروف في علم البديع، فيقول:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق بالظلماء من إضم

ثم يرجع، وكأنه بدا له سبب سكب العبرات الممزوجة بالدم، ويقول:

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني

ثم يبدي عشقه للرسول ﷺ، وما يتكبد فيه من السهر والضعف والهزال بأسلوب بليغ رقيق، ويترقى إلى وصف ممدوحه ومحبوبه ﷺ، فيمر على جميع مراحل حياته، من العجائب الواقعة لدى مولده ونشأته في مكة، ونزول الوحي عليه، ومعاناته من ظلم الكفار، وإسرائه ومعراج، وهجرته إلى المدينة، وغزواته مع قريش، ومعجزاته الكثيرة، وشفاعته يوم القيامة وما إلى ذلك، كل ذلك بعبارات بليغة مؤثرة في القلوب، وانتقاء الكلمات القوية الدالة

على المقصود، وأرى أن هذه الشمولية ربما تعتبر من خصائص البردة، حيث لا توجد في غيرها من القصائد التي ألفت في مدح النبي ﷺ - والله أعلم.

ومن الملاحظ البديعية في قصيدة البردة أنه كثيراً ما ينتقى الكلمات المتناسبة، فمثلاً- يقول:

والصدق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما في الغار من أرم

فهناك تناسب لفظي بين كلمتي الصدق والصديق، وكذا بين "أرما" و "أرم". وإليك بعض الأبيات الأخرى على سبيل المثال:

فأصرف هواها وحاذر أن توليه	إن الهوى ما تولى يُصم أو يصم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة	من حيث لم يدر أن السم في الدسم
ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى	أن اشتكت قدماء الضر من ورم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم ولا كرم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم	قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
فحزت كل فخار غير مشترك	وجزت كل مقام غير مزرحم

كما أن القصيدة تشتمل على تشبيهات أنيقة رائعة في وصف الرسول ﷺ، تبهر الأديب وتجذب القلوب، وتحسن المباني وتثبت المعاني، منها على سبيل المثال:

كالشمس تظهر للعينين من بُعد	صغيرة وتكبل الطرف من أمم
كالزهر في ترف والبدر في شرف	والبحر في كرم والدهر في همم
كأنه شمس فضلهم كواكبها	يظهرن أنوارها للناس في الظلم
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف	من معدني منطلق منه ومبتسم
فالدر يزداد حسناً وهو منتظم	وليس ينقص قدراً غير منتظم

ويقول في الصحابة:

يجر كل خميس فوق سباحة	يرمي بموج من الأبطال ملتطم
المصدرى البيض حمراً بعد ما وردت	من العدا كل مسود من اللمم
شاكى السلاح لهم سيما تميزهم	والورد يمتاز بالسيما عن السلم

ويسخر الشاعر فيها من الكفار أيما سخرية، كما هو واضح من هذه الأبيات:

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم من الشياطين يقفو إثر منهزم

كأنهم هرباً أبطال أبرهة أو عسكر بالعصا من راحتيه رمي

ويقول عن كفار قريش:

ودوا الفرار وكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم

كما أن القصيدة تحوي على كثير من الحكم والقواعد الطريفة الطريفة في الحب وغيره، منها قوله: "والحب يعترض اللذات بالألم"، وقوله: "إن المحب عن العذال في صمم" وقوله: "والشيب أبعد في نصح عن التهم"، وقوله: "إن الطعام يقوي شهوة النهم".

ومن المواعظ النفيسة في البردة:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تقطمه ينفطم
كم حسنت لذة لتلمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم
واستقرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم

ومن الإنابة والتوبة قوله:

أستغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلأ لذي عقم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم
ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سوى فرض ولم أصم
ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم

ويختم القصيدة بختام بديع حيث يقول:

ما رنحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

وهذا كله أدل دليل على تمكن الشاعر في البلاغة وفي الشعر، ومدى حبه وعشقه للمصطفى ﷺ، ومعرفته بتاريخه ومعجزاته، فلا عجب في قبوليتها لدى البلغاء وغيرهم، فإنه إذا ظهر السبب بطل العجب.



المدائح النبوية لأحمد شوقي

د/ن. عبد الجبار^١

شخصية شوقي

ولد أمير الشعراء أحمد شوقي في القاهرة بمصر سنة ١٨٦٨م لأبوين مختلفي الجنسية، فأبوه كان عربيا من مصر، وأمه كانت تركية. عندما كان في الرابعة من عمره ألحقه ذووه بمكتب الشيخ صالح بالقاهرة. أتم تعليمه الثانوي في سنة ١٨٨٥ في عمره الخامس عشرة عاما. لما بلغ السادسة عشر من عمره ألحقه أبوه بكلية الحقوق لتدريس القانون. وبعد، ظل شاعرا للقصر للخديوي توفيق يتغنى بمدائحه. وبعثه الخديوي إلى فرنسا ليكمل ثقافته في الحقوق بالإضافة إلى دراسة الآداب الفرنسية. وبقي في فرنسا أربع سنوات ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٦٢م. واشترك شوقي في مؤتمر المستشرقين عقد في مدينة "جنيف" سنة ١٨٩٤م ممثلا الحكومة المصرية، وقدم فيه قصيدته الملحمية التاريخية الشهيرة بعنوان: "كبار الحوادث في وادي النيل" بدأها بقوله:

وحداها بمن تقل الرجاء"

"همت الفلك واحتواها الماء

وظل شوقي يتقلب في فراش النعيم بين القصر ومنزله الفخم في القاهرة ويعيش حياة رتيبة مرفهة إلى أن أعلنت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤م، فعزل الخديوي عباس الثاني لخصومته لإنجلترا وولائه لتركيا، ولم تكن السلطة الانجليزية غافلة عما كان لشوقي من مكانة في القصر فنفي إلى أسبانيا.

وعاد أحمد شوقي من منفاه ووجد أرض وطنه مخضبة بدماء الحركة الوطنية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فراح يناضل الشعب نضالا مستميتا للذود عن كل شبر من أرضه دون اغتصاب المحتلين. فأصبح شوقي شاعر الشعب المصري بل شاعر الشعوب العربية كلها؛ ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات. وانتهاز كل فرصة للإشادة بزعيم عربي أو حركة عربية وإسلامية، والتعبير عن آمال العرب والمسلمين،

^١ الأستاذ المشارك ومشرف البحوث، قسم العربية، كلية الفاروق، فاروق، كاليكوت.

وتشجيع ظلم المستعمرين وما يقومون به من اعتداء وتعذيب، وبذلك أصبح شعره يردد في كل مكان ينطق أصحابه بالضاد.

وفي سنة ١٩٢٧م اجتمع شعراء الدول العربية في حفل كبير أقيم لتكريم شوقي فأجمعوا على مبايعته بإمارة الشعر تقديرا لمكانته المرموقة في الإبداع الشعري، وأعلن فيه حافظ إبراهيم بمبايعته ومبايعة شعراء البلاد العربية منشدا:

أميرا القوافي قد أتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

خصص شوقي جزءا كبيرا من ديوانه في الفكر الإسلامي، وهو يشمل جميع جوانب الحياة من العقيدة إلى السياسة، والاجتماع، والأخلاق. ويعالج الشاعر قضايا المسلمين، ويعلي شأن الإسلام، ويريد الإصلاح على أساس الدين، ويضطرب إذا نال المسلمون الخير، ويحزن إذا أصابهم الشر؛ ويحثهم على النهوض، ويذكرهم بماضيهم المجيد، ويريد لهم حياة العز والسلطان في ظل الإسلام. فقد طرق شوقي باب جميع أغراض الشعر، أي الديني، والتاريخي، والوصفي، والدثائي، والمدحي، والسياسي والمسرحي وما إلى ذلك.

يرى شوقي إن الإسلام منهج كامل للحياة الإنسانية فشعره الإسلامي النابع من الفكر السليم بصفة عامة؛ وهدفه الأساسي من شعره الإسلامي استنهاض المسلمين من نسبتهم العميق، وإخراجهم عن حياة الذل والخمول والبطالة إلى العمل والجهاد للتخلص من الضعف السياسي والاستعباد النفسي والفقر الفكر والمعنوي.

المدائح النبوية:

وقد خصص شوقي ثلاث قصائد لممدح الرسول ﷺ: أولها "نهج البردة" وثانيها "الهمزية النبوية" وثالثتها "ذكرى المولد".

وهذه القصائد كلها جديرة بدراسات مستقلة لما تحتوي على درر المعاني الإسلامية وطرف من شمائل النبي الكريم ﷺ وأخلاقه وبعض خصائص الإسلام وذكر بعض معجزاته ووصف الحال التي كانت قبل بعثته من فوضى واضطراب. ثم بث الشكوى إلى النبي ﷺ على ما آل إليه أمر المسلمين في عصره من التدهور والذل والانحطاط. وبين الشاعر ولادة النبي (ص) مولد الهدى، الهدى الذي يرجع بالإنسانية الضالة على سواء السبيل. فالكائنات من

فرحتها بمولده صارت ضياء، يشيع النور ويبدد الظلام، وهذا المولد في جماله وجلاله وخيره المتنوع كحديقة تفتحت ورودها، فراح عبير شذاها في أرجاء مختلفة؛ والوحي يقطر عذبا من عذب، والقلم واللوح المحفوظ يفيضان في الأولين. ومطلع قصيدة "الهمزية النبوية":-

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وفي هذه القصيدة نفسها تتحدث شوقي عن شمائل النبي الكريم ﷺ وخلقه، فيتذكر تلك الصفات التي كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته، والتي مكنته من أن يحول أمة جاهلة متفرقة إلى دولة إسلامية شاملة. فيصور لنا صدقه وأمانته وجوده ووفاءه وغيرها. فيقول الشاعر:

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأمناء
يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة في الحق لا ضعف ولا بغضاء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما في بردك الأصحاب والخلطاء

وهو يقدم الإسلام شريعة العقل والحكمة والعدل والعمل الصالح للدنيا والآخرة، وهي شريعة جمعت بين الدين والسياسة؛ واتبعها المسلمون وملكوا بها العالم وسطعت أنوارها في أنحاء، فرفرف فيها العدل والعلم والعمران.

ويلخص الشاعر النظام الإسلامي في بيت واحد من القصيدة إذ يقول:-

الدين يسر والخالصة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

وعن خلقه العظيم ينشد شوقي:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم ديناً، لقامت وحدها دينا تضى بنوره الأبناء
زانتك في العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

أنشد شوقي المدائح النبوية تقديرا وحباً للرسول ﷺ ووصفا لخصائص الإسلام، صادرا عن العاطفة الدينية الجياشة؛ بل نجده في شعره الديني زاهدا متنسكا يتقرب إلى الله بدعائه وكثرة تسبيحه، ويستغفره ويتوب إليه خاشعا متذللا:

ربنا يا ذا التجلي والجلال	يا خفي اللطف يا رب النوال
ربنا اللهم جنبنا الذنوب	واهدنا الحكمة في كل الفعال
ربنا اللهم أصلح شأننا	وأقم في نفعنا حكا منا
ربنا واحفظ بنا أوطاننا	واجعل الملة في أوج الكمال

نهج البردة:

تعتبر قصيدة "نهج البردة" من غرر المدائح النبوية التي نظمها أمير الشعراء أحمد شوقي. وفي هذه القصيدة يصف شوقي نبينا ﷺ أمير الأنبياء لأنه خيرهم وأفضلهم على الإطلاق. وهو ﷺ مفتاح باب الله لأن في أتباعه الوسيلة إلى الدخول في رحمة الله ورضوانه وفي الاستشفاع به السبيل إلى عفوه وغفرانه. وهذا المعنى واضح في قول الشاعر:

لزمت باب أمير الأنبياء ومن يمسك بمفتاح باب الله يغتنم

وفي بيت آخر في هذه القصيدة يشبه شوقي نبينا الكريم ﷺ بالشمس على أن نوره ﷺ عم البرايا جمعاء وشاع في الأرض والسماء، كما يتصل نور الشمس بأفاق هذا العالم بجميعة. وقوله:

سناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلك والضوء في علم

والشاعر يشير إلى محبته ﷺ التي قد شاعت في قلوب أحلاس الديور من متنسكي النصراري ورهبانهم المنقطعين في رؤس الجبال للتبتل والعبادة:

محبة لرسول الله أشربها قعائد الدبر والرهبان في القمم

وفي شبابه ﷺ يلقبونه "بالأمين" وذلك لما رأوهم في شدة وفائه وعصمته عن الباطل ونزاهته عن الكذب؛ وما علمتم في طبعه الكريم انحرافا وما وجدتم في خلقه الشريف لوثة. ويشير الشاعر إلى هذه الصفات المحمودة عند رسول الله ﷺ:

لقبتموه أمين القوم في صغر وما الأمين على قول بمتهم

فاق البذور وفاق الأنبياء فكم بالخلق والخلق من حسن ومن عظم

وعن خلقه ﷺ يذكر شوقي أن الله تعالى قد حباه من كمال الغريزة وسلامة الطبع ووفرة العقل ووثاقة الحلم وعلو النفس ولطف الحس بما لم يحب به مخلوقا قط قبله ولا بعده، وتولاه من تأديبه وطبعه على كرائم الخلال ومحامد الخصال بما لم يوفق إليه مخلوقا غيره. وأن الأنبياء جاءوا بالمعجزات والآيات إلا قد مضت على أثرهم وانقطعت بانقطاعهم؛ وأن ما جاء به نبينا ﷺ من القرآن الكريم والذكر الحكيم باق على طول الأزمان والدهور؛ تجري عليه العصور وتتغير عليه الأمم وهو قائم الحجة واضح البرهان. يكلف الناس بالجري على مقتضى حكمه ويطلبون بالتعبد بتلاوته في كل زمان ومكان كما ورد في الأبيات التالية:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت	وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد	يزينهن جلال العتق والقدم
يكاد في لطفة منه مشرفة	وصيك بالحق والتقوى وبالرحم

يشبه شوقي حديثه ﷺ بالشهد في حلاوته وعذوبته، وانبساط النفس له، أو لفائدته وشفائه لأمراض النفوس كما يشفي العسل من أمراض الجسم، كما قال تعالى: "فيه شفاء للناس" (النحل - الآية/ ٦٩)

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثك الشهد عند الذائق الفهم

ويقول شوقي إن البيان قد ازدان بحديثه كما تزدان الحسنة بعد العطل بحليها وزخرفها وتزدان بزينتها ملاحظتها وحسنها، ويبين هذا المعنى في قوله:

حليت من عطل جيد البيان به	في كل منتشر في حسن منتظم
بكل قول كريم أنت قائله	تحيي القلوب وتحيي ميت الهمم

والشاعر يوضح شجاعة الرسول وبأسه في الحروب ويبين أنه كان أقوى بأسا من الأسد ساعة وثبه؛ والأسد إذا وثب كان أشد ما يكون شدة وأقوى ما يكون قوة، ونستمع إلى قوله:

والليث دونك بأسا عند وثبته	إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمي
تهفو إليك وإن أدميت حبتها	في الحرب أفئدة الأبطال والبهم

وهكذا اجتمع له ﷺ الثناء من أهل الأرض وأهل السماء، ومن يلتمس عن الأخبار وجد أنه بلغ الغاية في كمال بشريته وروحانيته ﷺ.

وختاماً، يصلي ويسلم الشاعر على محبوبه ﷺ بقوله:

يا رب صل وسلم ما أردت على	نزيل عرشك خير الرسل كلهم
محيي الليالي صلاة لا يقطعها	إلا بدفع من الإشفاق منجسم
مسبحاً لك جنح الليالي محتملاً	ضراً من السهد أو ضراً من الورم
رضية نفسه لا تشتكي سأمها	وقامع الحب إن أخلصت من سأم
وصل ربي على آل له نخب	جعلت فيهم لواء البيت والحرم
بيض الوجوه ووجه الدهر ذو حلك	شم الأنوف وأنف الحادثات حمي
واهد خير صلاة منك أربعة	في الصحب صحبتهم مرعية الحرم

يمجد شاعرنا شوقي كل الأنبياء تمجيذا يليق بمكانتهم، والأنبياء جميعهم مصدر هدى ورحمة، ويجب على العباد أن يصدقوهم ويخلصوا الحب لهم، ولكنه أفرد كلا من موسى وعيسى عليهما السلام ومحمد ﷺ بالتمجيد والإجلال والإكبار في قصائد مستقلة. ويعبر الشاعر في أشعاره عن إيمانه الراسخ بنبوة محمد ﷺ الباقية إلى يوم القيامة، وصلاحيتها للأجيال البشرية على مرا العصور وكر الدهور. وهو يدهش بإعجابه البالغ لسيرة رسول الكريم ﷺ الفذة الفريدة في الكلمات الإنسانية والانجازات النادرة. وكان الشاعر شوقي شاعراً إسلامياً بمعنى الكامل وله عقيدة ودعوة ورسالة. ونلاحظ الحب والحنان والإشراق الروحي في جميع أشعاره عن الدين كما يقول في الأبيات التالية:

محمد صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسمة

وقوله مناجاة الله:

وأنت ولي العفو فامح بناصح من الصفح ما سودت من صحفاتي

شوقي شاعر معتد بإيمانه، معتز بدينه؛ وقد تخصص أكثر ديوانه في الفكر الإسلامي بصورة مباشرة وغير مباشرة؛ والنواحي الإسلامية في شعر شوقي أجدر بعناية الدارسين المهتمين بالدراسات الإسلامية. قضى شاعرنا حياته في خدمة الأدب العربي وأتم ما عهد إليه من مهمة الحياة فلبى لنداء ربه سنة ١٩٣٢.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الهمزية النبوية: كمال المدح النبوي

د/ عبد المجيد تـ^١

الهمزية النبوية، هي إحدى قصائد أمير الشعراء أحمد شوقي، وهي قصيدة رائعة، والشاعر في هذه القصيدة يؤرخ الإسلام وظهوره وانتشاره وفضائله في صورة جاذبة ويمدح النبي ﷺ ويشرح مكانته في المجتمع شرحاً واضحاً. و النص الأصلي للقصيدة يتألف من مائة وثلاثين بيتاً، مكتوبة على نسق بحر الكامل 'متفاعلن متفاعلن متفاعلن'. وتبدو معاني أبيات 'الهمزية النبوية' كأنها مكتوبة الآن، وكأنها بما تضمنه تمثل رداً بليغاً ورائعاً على ما ارتكبه الصحيفة الدنماركية من إساءات شنيعة وفظيعة ضد الإسلام وشخصية النبي ﷺ الزكية دون احترام لمقدسات المسلمين. ونشرت هذه القصيدة بجريدة الأفكار في سنة ١٩١٧. أراد شوقي بهذه القصيدة محاكاة الإمام البوصيري في همزيته الشهيرة التي مطلعها:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

ولكنه أخذ منها القافية ولم يأخذ الوزن، كما أنه لم يستوف الموضوعات التي وردت في همزية البوصيري.

و لمس أمير الشعراء في قصيدته قضايا تطلبها العصر الحديث إذ أعلن منذ بداية القصيدة بقوله:

ولد الهدى فالكائنات ضياء و فم الزمان تبسم و ثناء

أن ميلاد الرسول الأعظم كان نقطة تحول هامة في تاريخ الإنسانية كافة فمولده ﷺ لم يكن مولد إنسان عادي، يزداد به عدد البشر الموجودين في ذلك الوقت، بل كان مولده مولداً للهدى لكل أولئك البشر الحيارى التائهين في ظلمات الكفر و الجهل، كان مولده إيذاناً بعموم الفرح والحبور وتحرير البلاد و العباد من ظلم الحكام ضلال الأفكار.

ثم يأخذ الشاعر في حديث مفصل عن ذلك الضياء الذي ملأ الكون و عن ذلك السرور الذي عم المخلوقات في الملاء الأعلى فيقول:

^١ . الأستاذ المشارك و ريس قسم العربية، كلية WMO، موتيل، ويناد.

الروح و الملاً الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو و الحظيرة تزدهي والمنتهى و السدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا بالترجمان شذية غناء

إن الفرحة العظيمة بمولد الهادي العظيم نراها من خلال تلك الكلمات التي أراد الشاعر أن يعبر بها عن تلك البهجة التي عمت الملاً الأعلى مثل (بشراء)، (يزهو)، (تزدهي) و(ضاحكة الربا) وهي كلها كلمات ينشر روح البهجة والسرور حتى ليصل أثرها إلى القارئ نفسه فيشعر بنفس الفرحة .

ثم يتحدث الشاعر عن اسم النبي ﷺ، وكيف أنه يتصدر قائمة أسماء الرسل والأنبياء في اللوح المحفوظ إكراما له، وكيف أن الله سبحانه قد رفع ذكر نبيه العظيم فاقترن اسمه بلفظ الجلالة في الشهادة اقتران الألف بالباء في ترتيب الحروف، وكيف كانت له المنزلة العظمى في بيت النبوة إذ صار خاتم الأنبياء والمرسلين فيقول :

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة في اللوح و اسم محمد طغراء
اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك و اسم (طه) الباء
يا خير من جاء الوجود تحيه من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بيت النبیین الذي لا يلتقي إلا الحنائف فيه و الحنفاء
خير الأبوة حازهم لك آدم دون الأنام وأحرزت حواء

و بعد ذلك يعرج الشاعر على البشائر التي صاحبت مولده الشريف والذي كان بداية لنهاية الظلم و الكفر، فيذكر خمود نيران الفرس التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، وسقوط شرفتين من إيوان كسرى وغيرها من إرهاصات المولد الشريف. يقتدي الشاعر في ذلك من سبقه من الشعراء الذين تناولوا نفس الموضوع، و لا ينسى الشاعر أثناء ذلك الحديث عن السمات الذاتية في محيا النبي الكريم و قسمات وجهه الكريم مبينا إن خلقه الكريم و سماته العالية هي أصدق دليل على نبوته عند كل ذي عقل فيقول :

و بدا محياك الذي قسماته حق و غرته هدى و حياء
وعليه من نور النبوة رونق و من الخليل و هديه سيماء

و من الحديث عن الميلاد وإرهاصاته ينتقل الشاعر للحديث عن طفولة النبي ﷺ وكيف نشأ يتيما تحوطه عناية الرحمن الرحيم حتى لا يكون لأحد من خلق الله يد على رسوله الكريم حتى أبيه وأمه، ولا عجب في ذلك فهو الإنسان الذي بعثه الله ليكون له اليد الطولي على كل

خلق الله بعد ربه جل وعلا. ثم يذكر شبابه الطاهر المختلف كل الاختلاف عن شباب أقرانه ممن اتبعوا الشهوات والنزوات فيذكر صدقه وأمانته وطهره فيقول :

نعم اليتيم بدت مخايل فضله و اليتيم رزق بعضه و ذكاء
بسوى الأمانة في الصبا و الصدق لم يعرفه أهل الصدق و الأمانة

ثم يتناول الشاعر الجانب الأخلاقي في حياة الرسول الكريم فيتحدث بالتفصيل عن خلقه الكريم وكيف أنه حاز على الدرجة العليا في كل خلق من هذه الأخلاق حتى صدق فيه قول ربه جل وعلا (وإنك لعلی خلق عظیم). فكان في منتهى السخاء والكرم.

فإذا سخوت بلغت بالجوود المدى و فعلت ما لا تفعل الأنواء

و هو المثل الأعلى في العفو عند المقدرة :

و إذا عفوت فقادرا و مقدرًا لا يستهين بعفوك الجهلاء

والرحمة كانت من أوصافه البارزة حتى وصفه الله تبارك وتعالى "بالمؤمنين رؤوف رحيم":

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

و من أوصافه الشريفة أنه (ص) كان لا يغضب إلا للحق :

وإذا غضبت فإنما هي غضبة في الحق لا ضغن ولا بغضاء

أما عن رضاه فهو رضا لله لا يصدر إلا عن صدق فطري بعيد عن التكلف :

وإذا رضيت فذاك في مرضاته ورضي الكثير تحلم و رياء

وكان صلى الله عليه وسلم خطيباً مصقعا الذي أوتي جوامع الكلم :

وإذا خطبت فللمناير هزة تعروا الندي و للقلوب بكاء

وهو القاضي العادل الذي لا يؤخذ من غيره الحكم :

وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما جاء الخصوم من السماء قضاء

وهو الجريء الشجاع الواثق من نصر الله له :

و إذا مشيت إلى العدا فغضنفر و إذا جريت فإنك النكباء

ثم يتحدث الشاعر عن أصول الإسلام و مصادره فيذكر القرآن الأمين المعجزة الكبرى للنبي الكريم و كيف أن هذا الكتاب قد جاء ناسخا لما قبله من الشرائع و مهيمنا على ما سبقه من الكتب و كيف نزل هذا الكتاب في أسلوب هو آية في الإعجاز فأخرس البلغاء و الفصحاء :

الذكر آية ربك الكبرى التي فيها لباعي المعجزات غناء
نسخت به التوراة و هي وضيئة و تخلف الإنجيل و هو ذكاء
أزرى بمنطق أهله و بيانهم وحي يقصر دونه البلغاء

أما الحديث الشريف للنبي الكريم فهو الحديث البليغ الفصيح الصادر عن أفصح خلق الله كيف لا و هو قول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى :

أما حديثك في العقول فمشرع و العلم و الحكم الغوالي الماء
هو صبغة الفرقان نفحة قدسه و السنين من سوراته و الرأ
جرت الفصاحة من ينابيع الهدى من روحه و تفجر الإنشاء

وينتقل الشاعر إلى الإسراء والمعراج في عشرة أبيات ويتحدث عن الروح والجسد فيهما:

يا أيها المُسْرَى بِهِ شَرَفًا إِلَى
يتساءلون، وأنتَ أَطْهَرُ هَيْكَلٍ
بِهِمَا سَمَوْتَ مُطَهَّرِينَ كِلَاهُمَا
فَضْلٌ عَلَيْكَ لَذِي الْجَلَالِ وَمِنَّةٌ
تَعْشَى الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ كُلَّمَا
في كل منطقة حواشي نورها
أنتَ الجمالُ بها وأنتَ المُجْتَلَى
اللهُ هَيَّأَ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِهِ
العَرْشُ تَحْتِكَ سُدَّةٌ وَقَوَائِمًا
والرُّسُلُ دُونَ الْعَرْشِ لَمْ يُؤَدِّنْ لَهُمْ
حاشا لغيرك موعِدٌ وِلْقَاءُ
ما لا تتأَلَّ الشَّمْسُ وَالْجَوَازِءُ
بالروح أم بالهَيْكَلِ الْإِسْرَاءِ
نورٌ وَرِيحَانِيَّةٌ وَبِهَاءُ
وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرَى وَيَشَاءُ
طُوبَيْتَ سَمَاءٍ قَلَدْتِكَ سَمَاءُ
نورٌ وَأنتَ النُّقْطَةُ الزُّهْرَاءُ
والكفُّ وَالْمِرْأَةُ وَالْحَسَنَاءُ
نُزُلًا لِدَاتِكَ لَمْ يَجْزُهُ غَلَاءُ
ومناكبُ الروح الأمين وِطَاءُ
حاشا لغيرك موعِدٌ وِلْقَاءُ

ثم يبين الشاعر أن ذلك الكتاب الرباني و ذلك الهدي النبوي هما الأساس في بناء وقيام الدولة الإسلامية، تلك الدولة التي يسهب شوقي في بيان ملامحها و سماتها، فهي دولة تقوم على المساواة الكاملة بين رعاياها، شعارها الوحيد قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وهي دولة تقوم على البيعة الحقة و الشورى و العدالة الاجتماعية التي تضمن الحقوق لأصحابها :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
فرسنت بعدك للعباد حكومة
الله فوق الخلق فيها وحده
والدين يسر و الخلافة بيعة
بالحق من ملل الهدى غراء
لا سوقة فيها و لا أمراء
والناس تحت لوائها أكفاء
والأمر شورى و الحقوق قضاء

كما أنها دولة كتب على أبنائها الجهاد لرد الباغين المعتدين و نصره المستضعفين من عباد الله :

والحرب في حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

أما عن التكافل الاجتماعي فكانت دولته عليه السلام أولى الدول التي أرست دعائمه وجعلت للفقير حق معلوم عند الغني يأخذه منه وهو عزيز النفس لأنه شرع الله :

والبر عندك ذمة و فريضة
جاءت فوحدت الزكاة سبيله
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكمل في حق لديك سواء
لا منة ممنونة و جباء
حتى التقى الكرماء و البخلاء

و لا ينسى الشاعر أن يتحدث عن حملة هذا الدين من أصحاب رسول الله فيقول :

نسفوا بناء الشرك فهي خرائب
يمشون تغضي الأرض منهم هيبة
حتى إذا فتحت لهم أطرافها
لم يطغهم ترف و لا نعماء
واستأصلوا الأصنام فهي هباء
وبهم حيال نعيمها إغضاء

وإنه يشير إلى أن شريعة الإسلام تتضمن من أسس العدل والخير والشر والديمقراطية ومن روح اشتراكية وغيرها مما يفتخر بها العالم الحديث.

الاشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء

وفي الختام يتوجه الشاعر إلى الحاضر الذي تعيشه الأمة الإسلامية وهو حاضر في أمس، الحاجة إلى استدعاء الماضي المجيد و إلى التداوي بما فيه من الدواء الناجح الذي لا سبيل إلا العلاج و الشفاء إلا به فيقول لمن خصه بتلك القصيدة :

أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة
أدرى رسول الله أن نفوسهم
رقدوا و غرهم نعيم باطل
و نعيم قوم في القيود بلاء
في مثلها يلقي عليك رجاء
ركبت هواها و القلوب هواء

ظلموا شريعتك التي نلنا بها ما لم ينل في رومة فقهاء
مشت الحضارة في سناها و اهتدى في الدين و الدنيا بها السعداء

و يتضح لنا مما سبق أن الغرض الأدبي من هذه القصيدة هو مدح النبي ﷺ والثناء عليه. وقد قالها يحاكي بها من سبقوه من شعراء المسلمين، إلا أن محاولته تلك لم تكن مجرد تقليد أعمى بل أضاف من خلالها إلى القصيدة الدينية معاني جديدة تتواءم وتليق بظروف العصر الحديث كما انه اتخذ من تلك المحاكاة وسيلة للتفوق والمنافسة.

وعاطفة التدين الحارة قد سيطرت على الشاعر طوال القصيدة التي جعلته يهيم بشخص النبي الكريم و شمائله العطرة و استطاع بهذا الصدق أن يؤثر تأثيرا شديدا في القارئ فلا يكاد أحد يقرأ هذه القصيدة إلا و يشعر بشعور الحب العميق الشديد لشخص من نظمت في مدحه تلك القصيدة. والحق أن انتماء شوقي للمدرسة الكلاسيكية والتي تعد امتدادا لمدرسة الإحياء والبعث بزعامة البارودي والتي كان شعارها التجديد مع المحافظة على القديم قد ظهرت آثاره جلية في هذه القصيدة. إذ نرى التزام الشاعر بوحدة الوزن والقافية والروي كما نشاهد تمسك الشاعر وحرصه على اللفظ العربي الأصيل.

أما عن ملامح التجديد في القصيدة فيتمثل في لجوء الشاعر في الختام إلى رسول الله يشكو إليه حال الأمة وما أصابها من الضعف والوهن وكذا التركيز على أهم ما نادى به شريعته الغراء من مبادئ كثر المتكلمون بها في العصر الحديث. واختفت آثارها مثل التكافل الاجتماعي و مبدأ الشورى و العدالة الاجتماعية وغيرها. وهذا الشاعر الكبير يتألم تألما شديدا لما أصاب المسلمين من الأوجاع والمصائب بسبب بعدهم عن الشريعة الإسلامية ويرغب في أن يُنزلَّ المسلمون الشريعة الغراء في المكان اللاحق لها.

وفي جانب الصور والخيال فقد أكثر شوقي من التشبيهات والصور الجزئية عموما والتي تؤدي دورها في خدمة المعاني بالتشخيص والتجسيم والتوضيح. وقد جاءت ألفاظ الشاعر قوية جزلة تتناسب موضوع القصيدة.

المراجع: كرمة ابن هاني و الشوقيات لأحمد شوقي و مواقع انترنت.



المديح النبوي في الشعر العربي الحديث والمعاصر

عبد الجليل تـ^١

مفهوم شعر المديح النبوي:

شعر المديح النبوي هو الشعر الذي نظم في مدح النبي محمد ﷺ بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما. والمديح النبوي في قول زكي مبارك: "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"^٢. وهذا التعريف يطابق للمديح النبوي الذي ظهر في العصور الوسطى، وأما في العصر الحديث فهو يخرج من دائرة التصوف إلى دائرة العلمانية والوطنية والاجتماعية والسياسية. يمتاز المدح النبوي الخالص من المدح التكسبي أو مدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء، ويتسم بالصدق والمحبة والوفاء والإخلاص والتضحية.

مصادر المدائح النبوي

يستوحي المديح النبوي مادته الأصلية والإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولا والسنة النبوية ثانيا. وهناك مصادر ثانوية للمدائح النبوية وهي كتب التفسير التي بينت حياة الرسول بيانا واضحا وكتب السيرة التي تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول.

بداية المديح النبوي وتطوره:

وُلد المديح النبوي في الشعر العربي مع مولد النبي ﷺ، وانتشر بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي مع ابن الفارض

^١ . الأستاذ المساعد، قسم العربية، كلية الجامعة، تروننبرام.

^٢ . د/ زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ١٩٣٥، ص: ١٧.

والشريف الرضى. ولكن المديح النبوي بسماته الخاصة لم يظهر إلا بقصيدة البردة المشهورة للشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري. ذهب الباحثون مذهبين في نشوء المديح النبوي، وبعض منهم يرون بأنه إبداع شعري قديم ظهر في المشرق العربي مع الدعوة النبوية والفتوحات الإسلامية مع حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة. وهناك رأي آخر وذلك أن المديح النبوي فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد^١.

وقد ازدهر المديح النبوي ازدهارا واضحا في الفترات التي عانى فيها المسلمون المحن والشدة، فترى لنضج المديح النبوي ثلاث مراحل: المرحلة الأولى هي المرحلة التأسيسية في فترة الدعوة الإسلامية. وكان الرسول في تلك المرحلة يوجه الشعراء إلى الدفاع عن العقيدة ورد هجوم المشركين نحو الرسول وأصحابه^٢

فأول ما قيل في مدح محمد ﷺ قبل بعثته ما قاله عبد المطلق إبان ولادة محمد ﷺ، شبه فيه ولادته بالنور والإشراق الوهاج الذي أنار الكون سعادة وحبورا: من قول عبد المطلب:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاعت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبيل الرشاد نخترق^٣

تطور فن المديح النبوي في هذه المرحلة على يد الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام ورسوله الأمين. ومن بينهم شاعر الرسول حسان بن ثابت وصاحب البردة (بانة سعاد) كعب بن زهير وعبد الله بن رواحة. ومن أهم قصائد المديح النبوي في المرحلة التأسيسية، من المنظور التاريخي، هي لامية كعب بن زهير بن أبي سلمى ومطلعها:

بانَّتْ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ^٤

وتعد هذه القصيدة من أشهر قصائد الشعر العربي حتى قيل "لا يكاد ناطق بالضاد لا يسمع بها"^٥.

^١ د/ عباس الجراري، الأدب العربي من خلال ظواهره وقضاياها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: ٢، ١٩٨٢، ص: ١٤١

^٢ فهمي، د/ ماهر حسين، قضايا في الأدب والنقد رؤية عربية، وقفة خليجية، دار الثقافة، دوحة، قطر، ط: ١٩٨٦، ص: ٩٣-٩٤

^٣ د/ عباس الجراري، ص: ١٤١

^٤ الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٦، ص: ١٠٨.

^٥ نجمة حجار، مقالة في صفحة ويب : <http://forum.stop55.com/216786.html>

وقصائد حسان بن ثابت - شاعر الرسول - غنية عن الإتيان بها في هذا الصدد، وعينته في الرد على خطيب قريش عطار بن حاجب مشهورة، ومنها:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع^١

وفي العصر العباسي يرتبط المديح النبوي بمدح آل البيت وتعداد مناقب بني هاشم وأبناء فاطمة. لبهاء الدين العاملي^٢ المعروف بتشيّعه لآل البيت اهتمام واضح بمديح النبي وآله وقد ضمّن كشكوله مدائح عديدة. وأكثر ما يميّز الشعر الشيعي انه مزيج من المديح للرسول وآل بيته (من أبناء علي وفاطمة) والرياء والابتهال إلى الله والاحتجاج السياسي والعقلي أو الديني. وللشاعر العباسي مهيار الديلمي^٣ عشرات من القصائد الشعرية في مدح أهل البيت والإشادة بخلال الرسول ﷺ وصفاته الحميدة.

والمرحلة الثانية لتطور المديح النبوي هي المرحلة الوسيطة، وتعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الحقيقية لتأسيس فن مستقل في المديح النبوي، وذلك بقصيدة الإمام البوصيري المشهورة بالبردة. وعهد البوصيري عهد المحن والفتنة للأمة المسلمة إذ وقعت فيه الحروب الصليبية. فمن الطبيعي أن ترجع الأمة المسلمة إلى التعاليم الإسلامية والشخصية المثالية لرسوله وأن تكون هذه من أهم موضوع الشعر العربي. وفي هذه المرحلة أيضا ظهرت في العربية أشعار تصوفية. وكان البوصيري (محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري) واحدا من أهم المتصوفين المصريين في عصره^٤. نظم هذه القصيدة تحت عنوان "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، وقد غلب عليها اسم "البردة" تمييزا عن قصيدة كعب التي اشتهرت أكثر باسم "باننت سعاد". مطلع قصيدة "البردة" للبوصيري:

١. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج: ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١، ١٩٩٦، ص: ١٦١

٢. محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي (٩٥٣-١٠٣١هـ / ١٥٤٧-١٦٢٢م) الملقب ببهاء الدين، ولد ببعلبك، هو عالم رياضي وهندسي اشتهر في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، تعود شهرة العاملي الحقيقية إلى ما قدمه من شروح وافية كافية للقوانين المعقدة والمسائل الصعبة على علماء عاصروه، ولخص وعلق على مؤلفات الكرجي في الحساب والجبر، صنف العاملي عددا كبيرا من الكتب والرسائل في العلوم الرياضية والفلكية والشرعية واللغوية جاوزت في مجموعها الخمسين.

٣. أبو الحسن مهيار بن مروزيه الديلمي كاتب وشاعر فارسي؛ كان مجوسياً فأسلم، وكان إسلامه على يد الشريف الرضى وهو شيخه، وعليه تخرج في نظم الشعر، وقد وازن كثيرا من قصائده. كان شاعرا جزل القول، مقدما على أهل وقته، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات، وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده.

٤. نجمة حجار.

أمن تذكر جيران بذني سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
وقد عورضت هذه القصيدة من قبل الكثير من الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين.
ومن أشهرهم ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعة التي استعمل فيها المحسنات البديعية
بكثرة في معارضته الشعرية. ومطلعها

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم^١

وفي هذه المرحلة نشأ فن البديعيات في المديح النبوي، ومن أشهره بديعية ابن حجة الحموي^٢
التي سماها مع شرحها "خزانة الأدب"، كما ظهرت دواوين بكاملها في مدح الرسول مثل
"أهني المنائح وأسنى المدائح" للشهاب محمود و"بشرى اللبيب بذكر الحبيب" لابن سيد
الناس اليعمري.^٣

وقد اشتهر المديح النبوي في المغرب بأيدي الشعراء أمثال: مالك بن المرحل، وعبد العزيز
الفتتالي، والقاضي عياض. و من الشعراء الأندلسيين المشهورين في هذا الفن، أبو زيد
الغازي له مجموعة شعرية في المدائح النبوية سماها "الوسائل المتقبلة" وهي خمسات
على الحروف الهجائية. وابن جابر الأندلسي وله ديوان سماه "العقدين في مدح سيد
الكونين". ومن شعراء الأندلس الذين اهتموا بالمديح النبوي وذكر الأماكن المقدسة لسان
الدين بن الخطيب.

المديح النبوي في الشعر العربي الحديث

يعتبر العصر الحديث مرحلة ثالثة لازدهار المدائح النبوية، لأنه هو عصر التحدي الأكبر،
القوات الاستعمارية سيطرت الوطن الإسلامي حقبة من الزمن، وهي لا تزال تطلع إلى
أراض جديدة واسعة في العالم العربي، ولذلك تعود المدائح النبوية قوة دافعة من جديد،

^١ د/ جميل حمداوي - المغرب، مقالة "شعر المديح النبوي في الأدب العربي" في:

<http://www.almuloob.com/vb/t5263.html>

^٢ هو تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي (ت: ١٤٣٣) من أهل حماه، في سورية. إمام
أهل الأدب في عصره. شاعر جيد الإنشاء. اتخذ عمل الحرير، وعقد الأزهار صناعة له في صباه، ثم
اتخذ الأدب صناعة له فبرع في فنونه. ومن مؤلفاته المشهورة: خزانة الأدب، بلوغ الأمل في فن الزجل،
ثمرات الأوراق، وقصة 'حذاء الطنبوري' هي قصة هزلية وهي أشهر ما ألف

^٣ د/ ماهر حسين فهمي، ص: ٩٤.

وتعود السيرة النبوية مثلا أعلى وقدوة يتبعها السائرون، فلا غرو أن يظهر لون جديد أيضا بحكم التطور الفني المعاصر^١.

ويتطور الحركة الشعرية في القرن العشرين، أصبح المديح النبي وآل البيت بابًا يطرقه الشعراء في مناسبات معينة إلى جانب مواضيع دينية واجتماعية وسياسية أخرى شغلت بهم. وبالتأثير من ثقافتهم التراثية، الشعرية والدينية، استوحوا في معالجتهم لهذه القضايا العامة تعاليم القرآن وسيرة الرسول ومآثر آل البيت^٢، وإضافة إلى ذلك ساعدت حركة إحياء التراث القديم في بداية النهضة الحديثة الأدبية لازدهار المدائح النبوية في هذا العصر، وشعراء هذه الحركة هم الكلاسيكيون يتابعون أسلوب الشعراء القدماء في النظم، مع أنهم عالجوا الموضوعات العصرية.

أنماط المدائح النبوية في العصر الحديث

وإذا عدنا إلى الأشعار في المدائح النبوية في العصر الحديث نجدها في ثلاث أنماط: وهي

١. معارضات شعرية لقصائد مشهورة

٢. ملاحم شعرية التي تتناول حياة النبي ﷺ في صورة تفصيلية

٣. القصائد الإبداعية المطولة

المعارضة الشعرية: ويراد بهذا المصطلح الأدبي الإتيان والتقليد في الموضوع والوزن والقافية والمعاني. سببها تأثر الشاعر المعارض بقصيدة الشاعر المعارض من ناحية الوزن والموسيقى والموضوع. والمعارضة - أصلا- نوع من التحدي والتطاول والمبارزة الشعرية من الشاعر المعارض، ليأتي بما يسمو على الأثر الذي يعارضه وليثبت للملأ أنه قادر على مجازاة الشاعر المعارض نظما وفنا، ولكن هذا النمط الشعري اختفى أو كاد أن يختفي في الشعر المعاصر، بعد أن أصبح الشعر والشاعر على أساس الأصالة والإبداع لا التقليد^٣.

وقد كثرت المعارضات الشعرية لقصيدتي "بانث سعاد" لكعب بن زهير و"البردة" للبوصيري، نتيجة لإعجاب الشعراء بهما. تكثر هذه المعارضات عند الشعراء الكلاسيكيين، ومن أشهرهم محمد سامي البارودي (١٨٣٨ - ١٩٠٤) رائد الشعر العربي الحديث، وأحمد

^١. المرجع السابق.

^٢. شخصية النبي محمد (ص) في الشعر العربي بين القديم والجديد، مقالة في :

<http://forum.stop55.com/216786-4.html>

^٣. د/ محمد صالح شريف عسكري : <http://www.balagh.com/mosoa/fofon/he1ba014.htm>

شوقي (١٩٦٨ - ١٩٣٢) أمير الشعراء. فيعتبر المدائح النبوية للبارودي وشوقي نقطة التحول في المدائح النبوية المعاصرة. يقول أمير الشعراء أحمد شوقي معترفا بما للبوصيري من فضل على الشعراء في المديح النبوي:

المادحون وأرباب الهوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم^١
وقد سمى قصيدته التي عارض فيها (البردة) بـ (نهج البردة) ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم^٢
ومن معارضات شوقي الشهيرة أيضاً، قصيدته الهمزية النبوية، التي أنشدها بمناسبة المولد النبوي الشريف، وهي من البحر الكامل، ومطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

ويعارض فيها قصيدة البوصيري الهمزية التي مطلعها:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء^٣

فمن قصائد محمود سامي البارودي قصيدته الجيمية "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" التي يقول فيها:

يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج حتى فتكت بها ظلما بلا حرج

ما زال يخدع نفسي وهي لاهية حتى أصاب سواد القلب بالدعج

طرف لو أن الطبا كانت كلحظته يوم الكريهة ما أبقت على الودج

وهذه القصيدة هي في الحقيقة معارضة لقصيدة الشاعر العباسي الصوفي ابن الفارض^٤ التي مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

والشاعر المراكشي إسماعيل زويريق^١ الذي خصص كتابين لسيرة الرسول (صلعم) تحت عنوان: "على النهج"، يعارض فيهما شعراء المديح النبوي. ومن معارضاته:

^١. المرجع السابق.

^٢. الشوقيات،

^٣. د/ محمد صالح شريف عسكري.

^٤. هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي (٥٧٦هـ / ١١٨١م - ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م)، من حماة في سوريا، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ "سلطان العاشقين".

١. قصيدة " بانث سعاد "التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير :
- بانث سعاد فما للحرز تمهيل الدمع منسجل والجسم مهزول
٢. قصيدة "البردة يا شاكى البان "يعارض فيها قصيدة البوصيري :
- ياشاكى البان كم في البين من سقم؟ شكواك تنساب لحنا دافق الألم
٣. قصيدة"المرتجبة "كما في مطلع قصيدته الجيمية التي يعارض فيها القصيدة
"المنفرجة "لابن النحوي :
- إن ضاق الأمر فلا تهج فغدا قد يأتي بالفرج
٤. قصيدة " في رحاب المدينة "التي عارض فيها قصيدة الهمزية للبوصيري :
- هاتها، ما للنفس عنها غناء جانبي الشوق حين عز الدواء
٥. قصيدة " السينية في مدح خير البرية"، التي عارض فيها الشاعر سينية البحرى،
ومطلع القصيدة هو :

يجهر البين ما تخفى بنفسى فسقاني كأس الشجا بعد كأس^٢

الملاحم الشعرية: الملحمة في اللغة تعني الحرب، والملحمة في المصطلح الأدبي تمثل نوعا خاصا من الشعر القصصي البطولي، الذي لم تعرف العربية شبيها له، من حيث البناء القصصي الكامل، والحجم العددي للأبيات التي تبلغ الآلاف^٣.

وقد ظهر هذا اللون الشعري في الأدب العربي في العصر الحديث فقط، وظهرت منه أعمال ومحاولات مميزة، ومن أشهرها ملحمة الشاعر العراقي الشيخ كاظم الأزري^٤، المعروفة بالأزرية في مدح الرسول الأعظم ﷺ، وذكر فضائله، ومعجزاته، والتي تبلغ ألف بيت، أكلت الأرضة جملة من أبياتها وبقي منها ٥٨٠ بيتا ومطلعها:

لمن الشمس في قباب قباها شف جسم الدجى بروح ضياها^٥

١. إسماعيل زويريق أبو عدنان، شاعر وفنان تشكيلي وكاتب مراكسي، ديوانه "على النهج" مخصص للمعارضات في المديح النبوي، وعدد أبياتها ١٧٠٠.

٢. د/ جميل حمداوي. المرجع: إسماعيل زويريق، على النهج، ج: ١، ط: ١، ٢٠٠٤م، مطبعة ويلي، مراکش، ج: ٢، مطبعة ويلي، مراکش، ط: ١، ٢٠٠٦م

٣. د/ محمد صالح شريف عسكري.

٤. محمد كاظم المعروف بالملأ تصحيف المولى هو ابن الحاج محمد الأزري (١١٤٣ هـ - ١٢١١ هـ) من العراق، اشتهر بألفيته الأزرية في مدح النبي المصطفى، ومن أعماله جواهر الكلام في الفقه

٥. د/ محمد صالح شريف عسكري.

ومن الملاحم المهمة التي ظهرت في مطلع العصر الحديث، القصيدة العلوية المباركة لعبد المسيح الأنطاكي و التي بلغ عدد أبياتها (٥٥٩٥) بيت ومطلعها:

أزين ملحمتي الغرا وأحليها بحمد ربي فليحمده قاريها

ومن الملاحم الشعرية المميزة في هذا العصر، ملحمة الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، وتزيد على أربعين ألف بيت، وتشمل حياة النبي ﷺ وجهاده، وفضائله ومولده، منها:

ولد المصطفى محمد يمنا ألف أهلاً بخاتم الأصفياء

وتجلى والنور يشرق منه بجبين كالكوكب الوضاء

ومن الملاحم الشعرية المميزة أيضاً، بخصائصها القيمة، الملحمة الشعرية المعروفة بـ "الإلياذة الإسلامية" للشاعر المصري الشهير أحمد محرم^١. من الممكن أن تكون الإلياذة الإسلامية أخطر عمل شعري تناول الرسول منذ مولد الهادي حتى وفاته، وتبدأ بداية قوية بمطلع النور حين اشتد الظلام:

املاً الأرض يا محمد نورا واغمر الناس حكمة والدهورا

حجبتك الغيوب سرا تجلى يكشف الحجب كلها والستورا^٢

القصائد الإبداعية المطولة: ظهرت في الشعر الحديث والمعاصر القصائد الإبداعية تابعا لتطور الشعر وفقا لمقتضيات العصر، فتنوعت الموضوعات إلى الوطنية والسياسية والاجتماعية. ومع هذه الموضوعات الجديدة استقر المدح النبي في القصائد العربية المعاصرة. توهجت القصائد بشعلة المديح النبوي، وتطفح بالحب والود للنبي الكريم ﷺ، والشعراء يصفون فضائله ومناقبه بأفضل العبارات وأرق الكلمات المشبعة بالوفاء والولاء. يقول شاعر لبنان محمد حسين فضل الله^٣، في مجموعته الشعرية (يا ظلال الإسلام) تحت عنوان: يا رسول الله:

^١ أحمد محرم ابن حسن عبد الله الشركسي (١٨٧٧م - ١٩٤٥م)، شاعر مصري، وهو من شعراء القومية والإسلام. وكان من دعاة الجامعة الإسلامية، عاصر ثورة ١٩١٩، كما عاصر مصطفى كامل وسعد زغلول وتأثر بهم في شعره الوطني. ويعد أحمد محرم من شعراء مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي، اشتهر بتصوير البطولة الإسلامية من خلال سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) فنظم ملحمة النبوية "مجد الإسلام" (الإلياذة الإسلامية) في ثلاثة آلاف بيت، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٦٣م.

^٢ د/ماهر حسين فهمي، ص: ١١٣.

^٣ محمد حسين فضل الله (١٩٣٥ - يوليو ٢٠١٠)، مرجع دين شيعي لبناني ولد في مدينة النجف في العراق وتوفي في لبنان، يعتبر من أكثر علماء الشيعة انفتاحاً على التيارات الأخرى. لقب بأية الله العظمى

يا رسول السلام ينبض بالروح حياة ورحمة وجمالا

أنت أطلقتة لينعم فيه الكون لطفًا ونعمة وظلالاً^١

تُناوَلت شخصية الرسول في الشعر العربي الحديث كأنها مثل عليا للشخصية الإسلامية في فترات الشدة، فيأتي العذاب الذي لقيه الرسول في سبيل الدعوة، وهجرته من أرض الظلم إلى أرض السلام، وسياسته بين سطور الشعر العربي الحديث. يعتبر الشاعر الحديث أن المدائح النبوية خير ملاذ من التخبط الفكري، وفي ذلك يقول أحمد محرم:

سن النبي لنا أيام هجرته من صادق العزم شرعا غير مجهول

مضى على الحق لم تعصف بهمته ريح الضلال ولم يحفل بتهويل

والنفس تغلب إن صحت عزيمتها فتك الجيوش وتدمير الأساطيل^٢

ونجد أكثر مثال للشعراء الذين تناولوا هذه المعاني في مدح النبي ﷺ في النصف الأول للقرن العشرين لأنه حدثت في هذه الفترة أحداث جسام أهمها الغزوة الصليبية الثانية أوائل هذا القرن، والهجوم على الإسلام وعلى رسوله من دوق دار كور وهانوتو إلى ألفرد جيوم. ونعد من بين هؤلاء الشعراء مثلا لا حصرا الشاعر محمد مصطفى الماحي وحسن عبد الله القرشي وبدوي الجبل وعمر أبو ريشة ومحمود فضل إسماعيل، والأخير خصص من ديوانه خمسين صفحة للمديح النبوي، جعل عنوانها: "من وحي السيرة النبوية".

وقد قام أحمد محمد الصديق^٣ - الشاعر الإسلامي في الخليج - للرد على الاتهامات من قبل المستشرقين وعلماء النصارى نحو الإسلام ورسوله والقرآن الكريم. ففي الموقف الأول يبين أن محمدا خاتم النبيين، فيقول:

وأطل نور محمد من شرعه للدين والدنيا هوى وصلاح

وعلى خطاه نمت أصول حضارة هي للخلود وللعلا مفتاح^١

للاجتهاد في الفقه الشيعي، وقد جمع فتاواه في كتاب 'فقه الشريعة' في ثلاثة أجزاء، ومن كتبه المشهورة فقه الحياة، إسلام ومنطق القوة، قضايا إسلامية معاصرة، أسلوب الدعوة في القرآن.

^١ د/ محمد صالح شريف عسكري.

^٢ ديوان محرم ج ٢، ص ١٩٥، القاهرة ١٩٦٣م.

^٣ شاعر فلسطيني ولد بعكا سنة ١٩٤١م، بدأ يقرض الشعر وينشره في الصحائف اليومية في أيامه الدراسية، ومن دواوينه: نداء الحق ١٩٧٧، الإيمان والتحدي ١٩٨٥، فصادد إلى الفتاة المسلمة ١٩٨٤، جراح وكلمات ١٩٩٠، هكذا يقول الحجر ١٩٩٠، قادمون مع الفجر ١٩٨٧، أناشيد للصحو الإسلامية ١٩٨٥، طيور الجنة، يا سراييفو الحبيبة ١٩٩٧، ملحمة الشيشان ١٩٩٧، هو الله ١٩٩٨.

ثم ينتقل ليسجل معجزة القرآن الذي لم يصبه أي تحريف وصلحه لكل زمان ومكان:

المعجزات وحسبك القرآن معجزة الخلود

قد صانه الرحمن من عبث وزيف أو جمود

وفي قصيدته بعنوان "الإسراء والمعراج" يتناول الإسراء والمعراج باعتبارها معجزة أولاً

وتكريماً وجزاء لمعانة الرسول وصبره على المكاره:

لحظة والبراق يهبط في الباب وجبريل ممسك بعنانه

قم حبيب الرحمن لا تياس وهب النبي من أحزانه

وبعد هذا درس ينتقل إلى حال المسلمين اليوم كأنه يلح افتراقهم من ناحية وتكالبهم من

ناحية أخرى، وتخلفهم في كل جوانب الحياة، فهم في أشد حاجة إلى جهاد كجهاد الرسول

وصبر كصبر الرسول القائد:

يا حبيب الرحمن لو كنت فينا اليوم أنكرت أمة الإسلام

كثرة لو ترى ولكن قليل في مجال الإصلاح والإقدام^٢

وهكذا نرى عديداً من الشعراء في الخليج تناولوا مدح النبي في أشعاره أمثال خالد الفرج

الشاعر الكويتي، وعبد الرحمن المعاودة الشاعر القطري وعبد الرحمن العشماوي^٣ الشاعر

السعودي.

تتنوع القصائد الإبداعية في المديح النبوي في هذا العصر وفقاً لاختلاف التيارات الأدبية

الحديثة. فتختلف هذه القصائد مضمونها وشكلا، إذ يقلد الشعراء الكلاسيكيون أسلوب الشعر

القديم، يبعد الشعراء الرومانسيون والرمزيون كل البعد عن هذا الشعر القديم شكلا

ومضمونا. فنلاحظ نماذج من الأشعار في هذه التيارات الحديثة.

^١ د/ ماهر حسين فهمي، ص: ٩٩.

^٢ د/ ماهر حسين فهمي، ص: ١٠٠.

^٣ عبد الرحمن صالح بن محمد بن صالح العشماوي الغامدي (و: ١٩٥٦)، شاعر سعودي اشتهر بشعره الإسلامي التوجه، كان أستاذاً مساعداً للنقد الحديث في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وللعشماوي مشاركات في الأمسيات الشعرية والندوات الأدبية، يشارك في البرامج الإذاعية التلفازية، مثل (من ذاكرة التاريخ الإسلامي، قراءة من كتاب، وأفاق تربوية)، وله دواوين كثيرة، بعض منها: إلى أمّتي، صراع مع النفس، بانعة الريحان، مأساة التاريخ، مشاهد من يوم القيامة، من القدس إلى سراييفو، عندما تشرق الشمس، يا ساكنة القلب.

المديح النبوي عند شعراء التيارات الأدبية الحديثة:

الكلاسيكية^١: النهضة الحديثة في الأدب العربي والمحاولات لأحياء التراث القديم خلافاً للتقليد العميان للأساليب الغربية في النظم والتأليف، ساعدت لظهور الأشعار في الأنماط الكلاسيكية، ومن بين هذه الأشعار للشعراء الكلاسيكيين والتراثيين نرى عديداً من القصائد في المديح النبوي. لأن شخصية الرسول وشمائله لم تغب عن السطور الشعرية العربية في أي عصر من العصور قديماً وحديثاً. فأفرد شعراء التقليد والسلفية مساحة كبيرة لمديح النبي وآل البيت. وتَمَثَّل هذا الاتجاه في أشعار محمد مهدي الجواهري^٢ في العراق والبارودي وأحمد شوقي في مصر. وقد استمرَّ اتجاه التقليد في الزمن الراهن، فنظم مؤخرًا الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق قصائد عديدة في المعارضة والإبداعية. وقد ناقشنا عن معارضاته للأشعار المدحية القديمة بأعلاه. ومن قصائده الإبداعية في مدح الرسول:

١. قصيدة" كل مديح فيه مختصر" وهي رائية الروي ومطلعها:

رأيت كل مديح فيه مختصرا فما تعد سجاياه وتختصر

٢. قصيدة"الدالية في الرد على من أساء إلى الرسول برسوماته الكاريكاتورية"

عارض فيها دالية أبي العلاء المعري ومطلعها:

أما أعنى الذي رسموا الفؤادا فما للصمت يلزمني الحبادا

فمن قصائد محمود سامي البارودي في المديح النبوي قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وعدد أبيات هذه القصيدة ٤٤٧ ، ومطلع القصيدة هو:

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام على حي بذي سلم

ومن الشعراء الآخرين الذين نظموا على منوال البردة الشيخ أحمد الحملاوي في قصيدته التي سماها كذلك بـ "منهاج البردة" ومطلعها:

١. تيار أدبي نشأ عند الإغريق وتطور عند الرومان وشاع في أوروبا بعد النهضة الأوروبية. يعتبر بالكلاسيكية كل أدب يبيلور المثل الإنساني المتمثل في الخير والحق والجمال. ومن خصائصه العناية الكبرى بالأسلوب والفصاحة وربط الأدب بالمبادئ الأخلاقية وتوظيفه للخدمة التعليمية.

٢. محمد مهدي الجواهري (١٨٩٩ - ١٩٩٧) شاعر عراقي معروف بشاعر العرب الأكبر (متنبي العصر)، اشترك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ضد السلطات البريطانية. نظم الشعر في سن مبكرة، صدر له ديوان "بين الشعور والعاطفة" عام (١٩٢٨). وكانت مجموعته الشعرية الأولى "خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح". أصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (الفرات) وجريدة (الانقلاب) ثم جريدة (الرأي العام) وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين. وكان من المؤيدين المتحمسين لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقيام الجمهورية العراقية ولقب بـ "شاعر الجمهورية" وتوفي في عام ١٩٩٧ بدمشق.

يا غافر الذنب من جود ومن كرم وقابل التوب من جان ومجترم
 (المديح النبوي لأحمد شوقي يستحق دراسة مفصلة، هذه المجلة خصصت دراسة عنه،
 فالرجاء من القارئ العزيز مراجعة هذه الدراسة)
 الرومانسية^١: الشعراء الرومانسيون بعدوا عن شعر المناسبات، وانكب هؤلاء الشعراء على
 ذواتهم وراحوا يخلطونها، وظلت سيرة النبي ﷺ في مواقفها العديدة تثير وجدان الشاعر
 المسلم، وهذا الاتجاه نراه في شعر أحمد الخليفة الشاعر البحريني وفي شعر محمود حسن
 إسماعيل وغيرهم كثير من الشعراء الرومانسيين. فإذا كان شوقي يبدأ قصيدته قائلاً: (ولد
 الهدى فالكائنات ضياء) فالشاعر أحمد الخليفة^٢ يبدأ بمقدمة وجدانية كلها تعبير عن رؤى
 الشاعر الرومانسي^٣:

عانقي المجد واهزجي يا صاحري واستفيقي وطاولي الأقمرا
 واسكبي الضوء في مواكب هذا الليل بشرا ونضدي الأزهارا

ويستمر الشاعر خليفة في القصيدة حتى يختتمها كما بدأها بنفس المذاق، فإذا اختتم شوقي
 قصيدته بالدعاء:

ما جئت بابك مادحا بل داعيا ومن المديح تضرع ودعاء
 ادعوك عن قومي الضعاف لازمة في مثلها يلقي عليك رجاء

فيختتم الشاعر الرومانسي:

حلم طاف بي يمثل ركبا حل بالسفح ساعة ثم سارا
 أيه يا ركب أي رجح حداء بالترانيم اخجل الأوتارا

.....

^١ . مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة. وهو ومهذب متحرر من قيود العقل والواقعية. ومن خصائصه الطابع الذاتي والتأمل والحزن والكآبة والاندماج بالطبيعة. وعرف العالم العربي الرومانتيكية أولا من مقالات مطران وأشعاره. ومن أعلامها في العربي جبران، وأحمد زكي أبو شادي، وأبو القاسم الشابي

^٢ . أحمد محمد الخليفة (و: ١٩٢٩) شاعر مبدع من كبار الشعراء المعاصرين، ولد في قرية الجسرة من البحرين، تعبير قصائده عن معاناة الإنسان الخليجي. وتغلب على شعره أحيانا كثيرة النزعة الرومانسية، فقد تأثر بشكل مباشر بالشعراء الرومانسيين العرب. صدر في عام ١٩٥٥ أول مجموعة شعرية (أغاني البحرين)، ومجموعته الأخرى الثلاث في ديوان واحد (العناقيد الأربعة)، وقد صدر للشاعر في عام ١٩٩٢ ستة دواوين التزم فيها بالقصيدة العمودية، تأثرا من الشعراء الذين ينظمون القصيدة العمودية مما أدى إلى إثراء هذا النهج الكلاسيكي

^٣ . د/ ماهر حسين فهمي، ص: ١٠١.

يا نبي الهدى لدينك ضوء إن دجى الليل يرشد الأبصارا
وقد تغيرت بنية القصيدة أيضا عند الشعراء الرومانسيين^١. وقد اتخذ الشاعر محمود حسن
إسماعيل^٢ في قصيدته "جنازة الوثنية" شكل حوار بين اللات والعزى ومناة تخر فيها أوثان
ساجدة في النهاية فتتحطم. ومن قصيدته "نار وأصفاد":

ويك يا نار أي سر حبيس
في لظاك رآه أهل المجوس
زمزموا بالصلاة والتقديس
وأراقوا في شعاب النفوس

خمرة الحب من يدي إبليس ثم طافوا حول اللهيب سكارى^٣
وهكذا لونت الرومانسية السيرة بألوانها الثرية وأعطتها مذاقا جديدا في الصور والبناء
الفني^٤.

الرمزية^٥: الشعراء الرمزيون استخدموا الرموز للتعبير عن المعاني والأفكار. فمن الطبيعي
أنهم لم يسيروا على الخط السابق في المدائح النبوية. فيكون الرسول ﷺ عندهم رمزا كبيرا
للجهاد، وللهداية، ولانتصار الحق على الباطل، وللخار بالانتساب إليه. وكلها معان سامية
تلخص المدائح في إشارات شديدة التركيز:

لا تتركوني فالضحى نسبي من فاتح ومجاهد ونبي
عربية أنا أمتي دمها خير الدماء كما يقول أبي^٦

واستخدمت شخصية الرسول الكريم ﷺ رمزا شاملا للإنسان العربي سواء في انتصاره أو
في عذابه، ففي قصيدة (في المغرب العربي) لبدر شاكر السياب^٦ يصور الشاعر من خلال

^١ د/ ماهر حسين فهمي، ص: ١٠٣.

^٢ محمود حسن إسماعيل (١٩١٠ - ١٩٧٧) شاعر مصري، نبغ في الشعر نبوغا مبكرا فأصدر ديوانه
الأول وهو طالب سنة ١٩٣٥ م بعنوان "أغاني الكوخ" ونال جائزة الدولة في الشعر سنة ١٩٦٥ م، وله
دواوين كثيرة منها "لابد" و"تائهون". توفي سنة ١٩٧٧ م في الكويت وعاد جثمانه ليدفن في مصر
المرجع السابق.

^٣ د/ ماهر حسين فهمي، ص: ١٠٤.

^٤ مذهب أدبي فلسفي ملحد، يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز. ومن أبرز
الشخصيات في الرمزي Charles Baudelaire و Oscar Wilde، ومن العرب بشر فارس وسعيد عقل
ويوسف الخال وعلي أحمد سعيد (أدونيس).....

^٦ أنشودة المطر، ص: ٢٢، بيروت، ١٩٦٠.

شخصية النبي ﷺ انطفاء مجد الإنسان العربي، ويقينه من ازدهار ذلك المجد من جديد، حيث
يصور ظل الإنسان العربي المعاصر بصورة مؤذنة:

...تردد فوقها اسم الله

وخط اسم له فيها

وكان محمد نقشاً على أجرة خضراء

يزهو في أعاليها

فأسمى تأكل الغبراء

والنيران من معناه^١

وفي قصيدة (ضائعون وغرباء) للشاعر شاذل طاقة يرمز الرسول(ص) إلى الإنسان العربي
المنتظر الذي يخلص الأمة من آلامها وهوانها، حيث يسوق البشارة على لسان الكاهن سطيح
إلى الضائعين والغرباء الذين جاءوا لينشدوا عنده معرفة ما يضره لهم المستقبل:

في رحم كل امرأة محمد جديد

يمسح دمع التاكلات يبعث الحياة

فتومض البسمة في الشفاه...^٢

والشاعر كاظم جواد يرمز الرسول للثائر والمناضل في سبيل الحق في قصيدة 'أحد
والحريات والربيع':

يهيب بالمستضعفين في جبهة واحدة، وحدوا الصفوف واستقبلوا الحتوف

لا تحملوا الأسلاب والغنائم الثقال

لا تجهضوا الأرحام لا تستعبدوا الكهول

نحن رجال الحب والسلام والجمال..^٣

^١ بدر شاكر السياب (١٩٢٦ - ١٩٦٤) شاعر عراقي من شرق البصرة، اتسم شعره في الفترة الأولى بالرومانسية، منذ ١٩٤٧ انساق وراء السياسة، واهتم بقضايا الإنسانية وقد تواصل هذا النفس مع مزجه بثقافته الإنجليزية متأثراً بالبيوت، وهو أحد رواد الشعر الحر، ويرى بعض النقاد أن قصيدته "هل كان حبا" من باكورة الشعر الحر في العربي. ومن دواوينه: أزهار ذابلية ١٩٤٧م، أعاصير ١٩٤٨، أزهار وأساطير ١٩٥٠، فجر السلام ١٩٥١، حفار القبور ١٩٥٢، أنشودة المطر ١٩٦٠، سناشيل ابنة الجلي ١٩٦٤م

^٢ د/ عبد الله التطاوي/ أبعاد المؤثر الإسلامي في القصيدة العربية:

<http://www.annabaa.org/nba46/khatem.htm>

^٣ د/ علي عثري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر

<http://www.annabaa.org/nba46/khatem.htm>

^٤ ديوان إنما في الحرية/ ص ١٣٠

والشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش في قصيدته 'نشيد الرجال' يرى الرسول رمزا للقائد الوحيد الذي يخلص الأمة المسلمة والأمة الفلسطينية، ومنها:

تحدّ السجن والسجان

فإن حلاوة الإيمان

تذيب مرارة الحنظل^١

الواقعية^٢: المراد بالشعر الواقعي هو كون الشعر تعبيراً عن موقف انفعالي وفكري بواقع اجتماعي وسياسي وثقافي، فلا غرو أن تداخلت الشخصية المحمدية في ضمن الشعر الواقعي للشعراء المحدثين أمثال الشعراء العراقيين المعروف الرصافي و بدر شاكر السياب والشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان وغيرهم. وإن لم يشتهر أيّ من هؤلاء الشعراء في فنّ المديح النبوي. فهم من الشعراء الذين تميّز شعرهم بـ 'العلمانية'، أو الانشغال بهموم العالم الدنيوي لتمييزه عن الاتجاه الديني الخالص^٣. ومع هذا لم ينصرفوا عن شخصية الرسول، وذلك لما وجدوا فيها خير مثال للمجدد والمفكر والمصلح والسياسي وما إلى ذلك.

ومعروف الرصافي في قصيدته "في حفلة المولد النبوي" (٤٤ بيتاً) والتي استهلّها بـ:

وضح الحق واستقام السبيل بعظيم هو النبي الرسول

يركّز على أن الرسول 'أطلق الناس من تقاليد جهل' وكانوا فيه مغلولين مقيدّين، و'أنهض القوم للعلاء' بعد أن 'شفاهم بهديه من ضلال' كان علّتهم أجمعين. ويؤكد الشاعر بنفس عروبي أن 'نهضة' الإسلام 'العالمية' قامت بـ'همم يعربية وعقول'، فهي إذن نهضة 'للعقل' و'الهدى' شهدت لها الدول وأقرّت بها الأديان. يختلف مديح الرصافي عن المديح النبوي التقليدي في الغاية وفي الأسلوب، فكرياً وفنياً، لأن غايته من المديح هي لتوطيد

^١ . ديوان عاشق من فلسطين/ص١٢٨

^٢ مذهب أدبي فكري مادي ملحد، يقتصر في تصويره الحياة والتعبير عنها على عالم المألدة، ويرفض عالم الغيب. فهو ضد أدب أرسقراطية الفكر والخيال. ظهر هذا المذهب في الشعر العبي إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية. ومن أعلامه من العرب عبد الوهاب البياتي ورشيد ملعوف.....

^٣ . <http://forum.stop55.com/216786-4.html>

الأمل بالنهضة العربية القائمة على أساس الرابطة القومية التي تجمع بين المسلمين على اختلاف فرقهم وإخوتهم في الدين^١.

أما قصيدة بدر شاكر السيّاب "مولد المختار" المنشورة حولي سنة ١٩٦١، ومطلعها:

دموع اليتامى في دجى الليل تقطرُ ونوح الثكالى عاصفٌ فيه يصفر

ففيها إشارات إلى نكبة 'فلسطين المدماة' و'الكيد اليهودي'، وإلى الجزائر المحتلة، و'هران والأرض حولها'، و'العلوج' الذين 'أباحوا واستباحوا ودمروا'. وفيها يرجو الشاعر أن يكون مولد 'نبي الهدى' و'نفحة الله' و'خير ما جاد الزمان'، والموعود المنتظر لـ'ميلاد أمة' وميعاد بعث 'مُقدّر'. ويستغلّ السيّاب هذه المناسبة لإثارة الهمم و'الجهاد على اسم الله'، ولطلب الشفاعة لنفسه لأنه 'ككل الناس' 'تمرّس بالآثام':

ولكنّ من ينجده طه فقد نجا ومن يهده - والله - هيهات يخسر .

وفي قصيدة 'أشواق الحجاز' للشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان (١٩٠٥ - ١٩٤١) يبيّن حبه للنبي وأشواقه لأماكن الحضرة النبوية. وفي هذه القصيدة ينتقل طوقان في نظام القصيدة من بيت الشطرين إلى السطر الواحد بلغة شعرية جديدة وأسلوب مبتكر (لا بكاء على الأطلال ولا شكوى اللائمين). وبموسيقى غنائية تتنوّع فيها الأوزان والقوافي والروي. يصف الشاعر هيامه بحبّ 'النبي الأمين' وحنينه إلى 'بلاد الحجاز'، 'بلاد الكرام' و'شموس الهدى'، و'مشرق نور الكتاب المبين'، و'عماد الحياة' و'ركن العلا'، و'ربوع النبي' و'صحابه الهداة'. منها:

ذكرى الهادي والأمجادِ

مِلءُ الوادي والأنجادِ

أثّرُ الهمم منذُ القَدَمِ

حولَ الحَرَمِ أبَدًا بادِ^٢.

خصائص المديح النبوي :

يمتاز المديح النبوي من الأشعار الأخرى العربية من جانب المضمون والشكل.

ومن أهم ميزاته مضمونها:

١ . المرجع السابق.

٢ . المرجع السابق.

- إنه شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية.
- إنه يتميز بصدق المشاعر ونبيل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول(صلعم) طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب.
- إنه يهدف إلى تغيير العالم المعاش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي.
- يتناول الدعوة المحمدية والفتوحات الإسلامية والرغبة لزيارة الأماكن المقدسة.
- يلاحظ فيه التأثير بالتنشيع تارة والتصوف تارة أخرى.
- يكثر فيه الدعاء والاستغفار والتوبة والشفاعة.

ومن أهم ميزاته شكلا:

- معظمه يستند إلى القصيدة العمودية القائمة على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية.
- تتسم القصائد النبوية والمولدية الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدد الأغراض والمواضيع على غرار الشعر العربي القديم.
- تعتمد قصائد المديح النبوي على البحور الطويلة الجادة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة الهامة.
- أهم القوافي التي استعملت كثيرا في الشعر النبوي الميم والسين واللام والتاء والهمزة والجيم.
- وعلى مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة

ونتيجة القول أن المديح النبوي صار غرضا مستقلا في الشعر العربي الحديث والمعاصر. ولم يرغب الرسول في أي عصر من العصور عن سطور الشعر العربي وعن وجدان الشعراء العربيين، ومن بينهم الشعراء الكلاسيكيين والرومانسيين والرمزيين والواقعيين. والشعراء من هذه التيارات الحديثة مع اختلاف نظرهم إلى الأسلوب الشعري، شعرا مقفى كان أم شعرا مرسلا أو شعرا حرا، صوروا شخصية الرسول أروع تصوير في أساليب متنوعة. ويمكن أن نقول أن المدائح النبوية قد تطورت وتنوعت في العصر الحديث، بعد أن أسس

الإمام البوصيري فن المديح النبوي في العصور الوسطى. وهذا الفن يستحق دراسة مفصلة من عند الباحثين في اللغة العربية، إذ يجد هنا أهمية كبرى لدراسة مقارنة بين أشعار المدائح النبوية عند شعراء المدارس الأدبية الحديثة. وقد جرت هنا دراسة مقارنة بين برده البوصيري ونهج البردة لأحمد شوقي من قبل كل من الدكتور زكي مبارك والدكتور أحمد الحوفي.

أهم المراجع

٣. أنشودة المطر، ص: ٢٢، بيروت، ١٩٦٠
٤. د/ جميل حمداوي - المغرب، مقالة "شعر المديح النبوي في الأدب العربي" في: <http://www.almisloob.com/vb/t5263.html>
٥. د/ زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ١٩٣٥
٦. د/ عباس الجراري، الأدب الغربي من خلال ظواهره وقضاياها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: ٢، ١٩٨٢
٧. د/ ماهر حسين فهمي، قضايا في الأدب والنقد- رؤية عربية- وقفة خليجية، دار الثقافة، دوحة، قطر، ط: ١٩٨٦،
٨. د/ محمد صالح شريف عسكري : <http://www.balagh.com/mosoa/fofon/he1ba014.htm>
٩. ديوان إنما في الحرية/ ص ١٣٠
١٠. ديوان عاشق من فلسطين/ ص ١٢٨
١١. ديوان محرم ج ٢، ص ١٩٥، القاهرة ١٩٦٣م
١٢. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٦
١٣. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج: ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١، ١٩٩٦
١٤. نجمة حجار، مقالة في صفحة ويب : <http://forum.stop55.com/216786.html>
١٥. د/ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط: ٢٥، ٢٠٠٨.
١٦. إبراهيم شمس الدين، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صبح، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٨.



المدائح النبوية لشعراء كيرالا

عبد الرحمان الفيضي الملافاي^١

إن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لا زال ولا يزال من أبرز أغراض الشعر العربي في كيرالا منذ نشأته إلى يومنا هذا. فعلى الرغم من أن بين شعراء كيرالا من أجاد في مختلف فنون الشعر وأغراضها، إلا أن جل قصائدهم يبدو فيها العاطفة الدينية أبرز من العواطف الأخرى. فطبعي أن يستعملوا قرائحهم في نظم القرائض في المديح النبوي، وأن يتفننوا فيه بلطائف المعاني وبدائع الأساليب. نستعرض هنا بعض المدائح النبوية لشعراء كيرالا، ونورد نماذج من بعض القصائد حينما نكتفي بسردها أسماء البعض الآخر، روما للاختصار.

الوردة الذكية في تخميس قصيدة البردة

هي أول قصيدة عربية عرفت لأهل كيرالا. وصاحبها هو القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي. ولد حوالي سنة ٨٣٤ هـ / ١٤٢٩ م. وتلمذ على أبيه القاضي رمضان بن موسى. ثم رحل إلى الحجاز للدراسة العليا، وقرأ هناك على العلامة جلال الدين المحلي وغيره. وبعد ما رجع إلى بلاده اشتغل بالتدريس في جامع كوتيشرا بكاليكوت. وكان الشيخ زين الدين بن علي المعبري من تلامذته البارزين. توفي سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٩٠ م.

تدل هذه الخمسة على نبوغ الشاعر في فن الشعر حيث إننا لا نجد فيها أثر التكلف والاصطناع، في حين أن التخميس يعتبر من أعسر أنواع الشعر. ومطلع القصيدة:

رفقا بنفسك يا من بات ذا ألم كم ذا التأوه في بطولك الظلم
ما لي أرى حمرة في الخد كالنعم أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

^١ . باحث، قسم العربية، جامعة كاليكوت.

راحة الفؤاد في تخميس بانث سعاد

هذه الخمسة أيضا للقاضي أبي بكر بن رمضان الشالياتي. شرع في قرضها بعد أن فرغ من نظم تخميس البردة. وتبرز هذه القصيدة أيضا الشعاعية الفياضة لصاحبها. يقول فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه:

النور باق وقد غابت شمسهم ففي رضى الخالق ارتاحت نفوسهم
هم الهداة فلا يشقى جليسهم شم العرانيين أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سراويل

القصيدة العمرية في المدائح النبوية

هذه قصيدة رائعة للقاضي عمر بن علي البنكوتي الذي يستحق أن يلقب بحسان كيرالا، والذي يعتبر رائد النهضة الحديثة في الشعر العربي بكيرالا. ولد في قرية بلنكوت سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٥٧ م. وبعد أن أتم الدراسة الدينية الابتدائية التحق بجامعة فنان وقرأ على العلامة مامي كوتي المسليار. ثم تولى القضاء في بلنكوت وما جاورها من البلاد. وكانت له علاقة وطيدة مع كثير من العلماء في داخل الهند وخارجها. اشتهر بعلمه وورعه وشعره، كما اشتهر بمواقفه الباسلة من الحكومة الاستعمارية البريطانية. توفي سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٢ م.

يحتوي هذه القصيدة على ٢٤ مخمسة رائعة، أنشدها أمام باب الروضة الشريفة حينما رآه مغلقا فانتابته عواطف ممتزجة من العشق والشغف والحزن واليأس. فلما أنشد هذه الأبيات، والدمع ينسكب على خديه، انفتح أمامه باب الروضة فقرت به عينه. ومطلع القصيدة:

صلى الإله على ابن عبد الله ذي خلق بنص الله كان عظيما
فذا غليظا لم يكن بل لنا برا رؤوف المؤمنين رحيفا
صلوا عليه وسلموا تسليما

ويفتح الشاعر قلبه أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرض لديه آلامه وأحزانه فيقول:

يا أكرم الكرماء على أعتابكم عمر الفقير المرتجي لجنايبكم
يرجو العطاء على البكاء ببابكم والدمع في خديه سال سجيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قصيدة لما ظهر

هذه القصيدة أيضا للقاضي عمر البلنكوتي. تحتوي على ٣٨ بيتا. وقد بدأ القصيدة بذكر العجائب التي حدثت وقت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول في مطلعها:

لما ظهر عم البشرى	ضاء البصرى كسرى انكسرا
فاضت ساوة غاض سماوة	أهل عداوة نادوا حذرا
زان الجنّة صاح الجنّة	جاء المنّة تترى تترى
سيد عدنان ماحي الأديان	كل الأديان به افتخرا

قصيدة ألف العاصي

قصيدة أخرى للشاعر نفسه. اعتنى فيها بتوحيد الحروف في بداية الصدر والعجز لكل بيت، وترتيب الأبيات حسب ترتيب الحروف الهجائية. مطلعها:

ألف العاصي الذي في البكر والأصل صال أنظما في مدح من هو في ذرى المعال عال

قصيدة لاح الهلال

هي أيضا للقاضي عمر البلنكوتي. تحتوي على ٢٥ بيتا. وأبرز ميزتها أنه استعمل فيها الحروف المهملة فقط. ومطلع القصيدة:

لاح الهلال هلال لامع العلم	الله داع رسول الله للأمم
الحاكم العادل الصدر المعد له	كل المكارم سمح واسع الكرم

وللقاضي عمر البلنكوتي قصيدة أخرى استعمل فيها الحروف المعجمة فقط، وقصيدة أخرى تسمى بالقصيدة الهمزية في مدح خير البرية، كما أن القسم الثاني من قصيدة "نفانس الدرر" للشاعر نفسه يتناول مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

الهمزية النبوية

هذه القصيدة للقاضي أبي بكر بن محيي الدين الكاليكوتي. ولد في أسرة القضاة بكاليكوت. تلمذ على أبيه وأخيه، ثم قرأ على الشيخ زين الدين المعبري والشيخ عمر بن علي لبا القايلي.

شغل منصب القضاء بكاليكوت. وكان الملك السامري يستشيريه في بعض الأمور. وكان شاعرا قديرا يعرف له ٢٠ قصيدة في موضوعات مختلفة. توفي سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م.

والقصيدة المذكورة أعلاه تشتمل على ٥٨ بيتا على ترتيب الحروف الهجائية. وكل بيتين في القصيدة يتوافقان بالحروف في بداية الصدر ونهايته وبداية العجز. مثلا:

باهى به الرسل والأملك بالطرب باهى المحيا فمناه كل أبهاء
به النهار بشمس حار ذا عجب بدر وعرش وكرس كل لمعاء

ولهذا الشاعر قصيدة أخرى بيدي فيها شوقه إلى زيارة الروضة الشريفة، ويرسل صلاته وسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق ريح الصبا. يقول فيها:

بمسك المحبة طيبتها بكافور شوق عليها نثر
وعطرت صندوقها بالشجا ومفتاحها ذكر خير البشر
وناديت ريح الصبا عندما هبت بهيجان عزم السفر
إلى ربع ليلي وجيرانها وزوارها عند وقت السحر

الجمان المعظم في سيرة النبي المكرم

هي قصيدة مطولة تشتمل على نحو ٥٠٠ بيت حول السيرة النبوية، للشاعر المعروف عبد الرحمن المسليار الأريكلي. ولد في قرية موبفوت القريبة من واداكارا سنة ١٩٣٢ م. تعلم نحو عشر سنين في دروس المساجد، وجلس لدى العلامة محمد الشيرازي. وبعد أن تخرج في دارالعلوم بوازكاد اشتغل مدرسا في جوامع فيولي وتودنور وغيرهما. والتحق مدرسا بالكلية الرحمانية بكميري سنة ١٩٧٧ م، واستمر في منصبه إلى أن وافاه الأجل.

وهذه القصيدة تتناول الوقائع التاريخية من البعثة النبوية إلى الهجرة حيث إنها نظمت بمناسبة احتفال العيد المئوي الخامس عشر للهجرة. يقول فيها عن إيذاء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه:

وهموا بإطفاء الهدى نور ربهم بأفواههم كالسرج تطفأ بالشم
وما علموا أن ذلك شعلة جمرة متى نفخوها تلتهب وتضرم

الدر المنضد

قصيدة أخرى للشاعر نفسه، تتناول شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم. يقول فيها:

كلمات جسم المصطفى في صفاته وخلقته لم يجتمعن لسيد
فإن رسول الله أزهـر لـونه بياض مشوب حمرة غير أشد

قصائد أخرى في المديح النبوي:

وهناك قصائد كثيرة أخرى في المديح النبوي لشعراء كبار، يشتمل بعضها على مئات من الأبيات حينما يقل البعض عن هذا القدر في عدد الأبيات. ونورد هنا أسماء بعض القصائد وأصحابها:

١. المنحة المكية في مدح خير البرية: الشيخ حامد بن السيد محمد بن السيد مصطفى البخاري الساحلي ١٢٨٠-١٣٥٢هـ
٢. قصيدة في مدح خير البرية الشيخ: أحمد المدعو بباوا المسليار بن الشيخ زين الدين المخدوم الأخير ١٢٧٧-١٣١٤هـ
٣. النور الأول في مدح النبي ﷺ: محمد المسليار الأريكلي ١٢٩٨-١٣٧٠هـ
٤. خمسم قصيدة رسول الله ﷺ: الشيخ محمد المسليار تنم ويدل ١٣٠٠-١٣٤٩هـ
٥. قصيدة المعجزات: الشيخ محمد المسليار تنم ويدل ١٣٠٠-١٣٤٩هـ
٦. الشقاشق البستانية في مدائح خير البرية: السيد محمد بن السيد حمزة البستاني الساحلي ١٣٠٠-١٣٨٠هـ
٧. تخميس على قصيدة باننت سعاد: الشيخ كنجي أحمد المسليار كوندجيري ١٣١٠-١٣٥٦هـ
٨. الرسول الأمين: أبو الرحمة محمد الفيئي ١٣١٨-١٣٦٣هـ
٩. المسك المعطر في مدح الرسول المطهر: أبو الرحمة محمد الفيئي ١٣١٨-١٣٦٣هـ
١٠. سمر السرى في مدح خير الورى: عبد القادر الفضفري ١٣١٣-١٣٦٣هـ
١١. القصيدة الهمزية في أصول خير البرية: عبد الرحمن بن محمد الكانياتي ١٣٢٠-١٣٨٠هـ
١٢. خمسة قصيدة الإمام السيوطي: عبد الرحمن بن محمد الكانياتي ١٣٢٠-١٣٨٠هـ

١٣. خلاصة الأخبار في سيرة خير المختار: علي بن فريد الكشنوري ١٩١٠-١٩٨٧م
 ١٤. العقد الثمين في معجزة الأمين: علي بن فريد الكشنوري ١٩١٠-١٩٨٧م
 ١٥. قصيدة مناجاة: أبو بكر بن محيي الدين التامرشيري ١٩٢٢-١٩٧٧م
 ١٦. قصيدة في مدح شهر ربيع الأول: عبد الرحمن بن معين الدين الكدولي ١٩٢٦-
 ١٧. السيف المسلول في وفاة الرسول: كنمل بوكر كوتي المسليار ١٣٣٩-١٣٩٦هـ
 ١٨. القصيدة القطبية في مدح خير البرية: أحمد بن نور الدين الملوي البانغي ١٣٠٥-
 ١٣٦٥

هذا، وإن للشعراء المعاصرين أيضا مساهمة ملحوظة في المديح النبوي، كما أن هناك كثيرا من الموالد التي تقرأ في مناسبات مختلفة، والتي يمتزج فيها أشعار بديعة بقطع نثرية أنيقة، لم ترد تحت هذه الدراسة القصيرة المستعجلة. ومن دواعي الأسف أن كثيرا من هذه الإبداعات الأدبية الثمينة قد تعرضت للضياع والتلف. والقصائد الموجودة لدينا أيضا يبقى معظمها على صورتها الخطية. وقد مست الحاجة إلى محاولات جادة لحفظ هذا التراث القيم عن الضياع والإهمال.

المراجع

١. مبدأ الشعر العربي في كيرالا وتطوره : د/ ويران محيي الدين الفاروقي
٢. مساهمة كيرالا في الأدب العربي (مليالم) : د/ ك. م محمد
٣. المسلمون في كيرالا : عبد الغفور القاسمي
٤. مجلة "العالم الإسلامي" السنوية ١٤٢٣ هـ : علي كوتي المسليار (رئيس التحرير)
٥. الأريكلييات (ديوان) : عبد الرحمن المسليار الأريكلي

